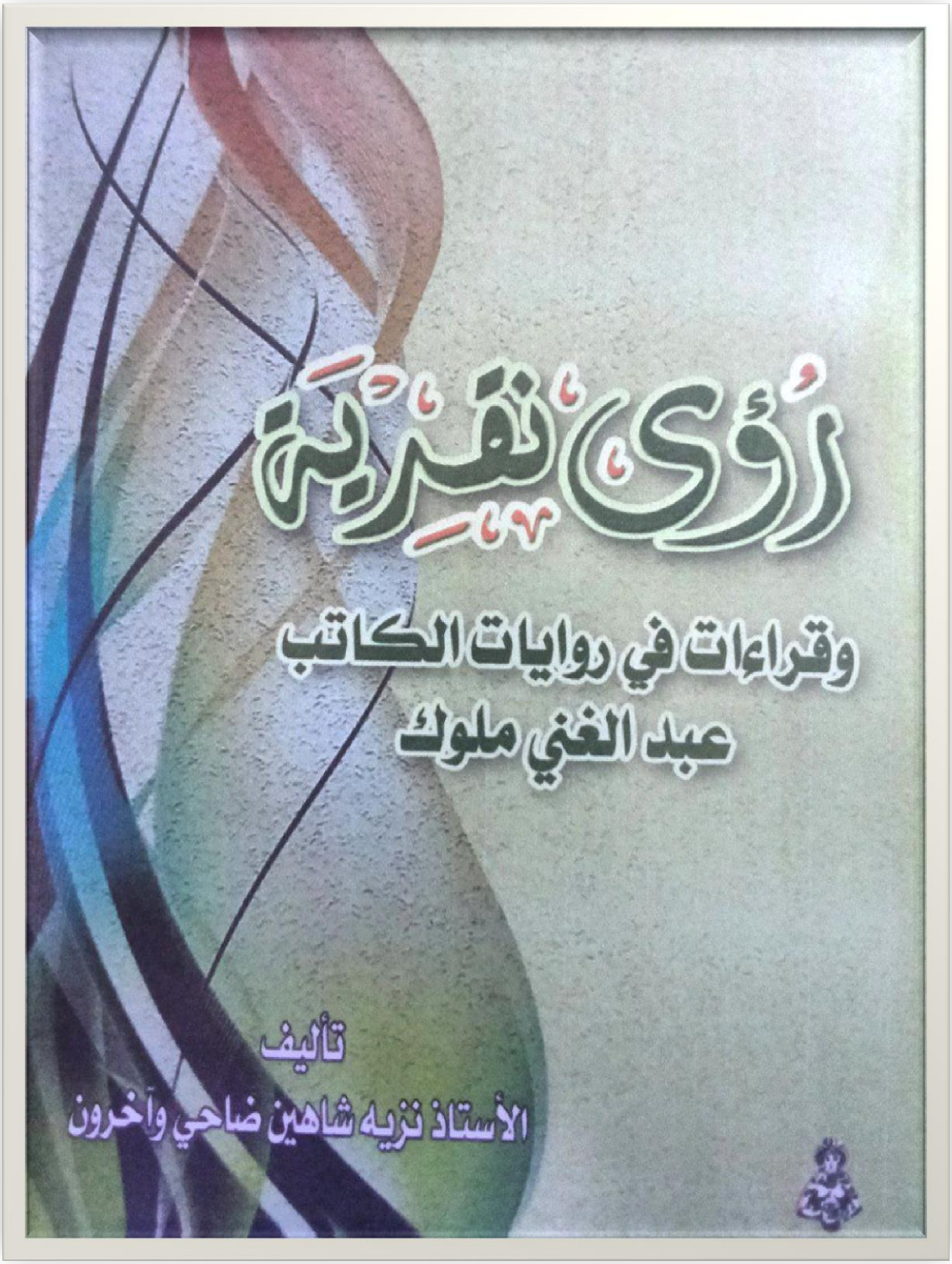
رُؤى نقدية
وقراءات في روايات الكاتب
عبد الغني ملوك
تأليف
الأستاذ نزيه شاهين ضاحي وآخرون

رؤى نقدية ودراسات في تجربة الروائي عبد الغني ملوك

شهادات وآراء

نزيه شاهين ضاحي

- رؤى نقدية
- تأليف وإعداد: نزيه شاهين ضاحي
- الطبعة الثالثة 2023
- جميع الحقوق محفوظة.

١- روئ نقدية

٢- شهادات وآراء في تجربة الروائي عبد الغني ملوك

إعداد الأستاذ نزيه شاهين ضاحي وآخرون:

. عيسى اسماعيل

. د. عيسى أسعد

. فهمي الكيال

. ايمان حمادي

. غسان المحمد

. رضاب العلي

. أندريه ديب

تنويه : تم نقل الدراسات التي تناولت روايات عبد الغني ملوك بالنقد والتحليل من كتاب أعلام القصة والرواية في حمص

تأليف : الأستاذ عيسى اسماعيل وذلك من صفحة ٢٤٣ ولغاية صفحة ٢٩٢

مقدمة:

تعود معرفتي بالروائي عبد الغني ملوك إلى منتصف عام ٢٠١٥ حين قدم لي زميل يهوى القراءة

والنقد ومتابعة الإصدارات الجديدة قال:

- خذ هذه الرواية أحلام الذئاب للروائي عبد الغني ملوك وأقراها جيداً وستجد أفكاراً غير عادية فيها وتوصيفاً موضوعياً للواقع الراهن:

إنه روائي جديد مختلف الطرح والأسلوب ظهر في مدينة حمص بقوة وزخم

وأردف صديقي:

سنلتقي بعد أسبوع لندرسها ونقرأها معاً على مهل

مضى أسبوع وقراناها مجدداً ..... فوجدت ما بين السطور معان مضمرة أكثر مما حملته السطور كان هذا الروائي مميزاً فعلاً، يحمل أفكاراً طازجة لتغيير الواقع منطلقاً مما كان إلى ما يجب أن يكون:

أبطاله كثر متغلغلون في قاع المجتمع وعلى سفوحه وفي حدائقه الخلفية، يحركهم على تعددهم وتنوعهم وكثرتهم ببراعة ماهرة، وبأسلوب معلم محترف، لا بنظرة ها و يكتب روايته لأول مرة:

قلت لصديقي:

وجدت في هذه الرواية طرحاً جديداً لمعالجة الفساد وأخطاء الماضي والحاضر والتي ارتكبت بقصد أو دون ما قصد على مختلف شرائح المجتمع والإدارات والتشكيلات، ووجدت أفكاراً طازجة تقارب المرحلة التي مرت وتمر : بقضها وقضيضها، بسلبياتها وإيجابيتها، وكل ذلك بسرد أسر ممتع

وبأسلوب بسيط ساحر :

فيما بعد عرفني هذا الصديق على ذلك الروائي المميز فزرناه في مكتبه بدار الرواية الحديثة كانت تلك الزيارة نقطة تحول مفصلية في حياتي الصداقة استمرت وتعمقت وتجزرت واثمرت، وكنت أجد في كل مرة في مكتبه الادباء والأكاديميين والمتنورين فكان مكتبه صالوناً أدبياً حقيقياً ومثمراً:

في كل مرة كنت أزوره، تصبح روحي المعنوية

سامقة مزدهرة عنده طاقة إيجابية ساحرة، يشحنك

بها ويسحرك بإدهاش فرغبت أن اشاركه رواياته

قراءة وتحليلاً ونقدا ومتابعة وتقصيا لكل ما كتب عنه من نقد واضاءات أو ما قدم من رؤى وقراءات او استنباطات: قرأت رواياته كلها وعلقت على متونها : ثم رأيت ان

اجمع كل ذلك في كتاب، فكان هذا الإنجاز الذي لا ازعم انه أحاط بابداع هذا الروائي، الاحاطة الكاملة الشاملة بموهبة تكاد تكون بلا ضفاف

ولهذا فإنني ابدأ بنقل ما كتبه عنه شعراء ونقاد اكاديميون، لانتقل فيما بعد إلى المقابلات التي اجراها اعلاميون معه ليتبين فكرة بجلاء، ولتتجسد افكاره بوضوح وجلاء:

عبد الكريم الناعم

أبدأ الرؤى بإطلالة للشاعر عبد الكريم الناعم وهو من أقدم وأعظم شعراء مدينة حمص عنده ثلاثون ديوان شعر، إضافة إلى مئات المقالات التي كتبها منذ عام ١٩٦٣ وما قبل:

يقول الأستاذ عبد الكريم الناعم عن الروائي عبد الغني ملوك ما يلي:

إطلالة على روايات عبد الغني ملوك عبد الكريم الناعم هي مجرد إطلالة، وليست دراسة، على الرغم من أن روايات الأستاذ عبد الغني ملوك تستحق دراسة معمقة، كل رواية على حدة، وهذا ينسحب، تطبيقاً، على الثلاثية التي كتبها، ولقد أتيحلي أن أطلع على بعض الدراسات التي قدمها دارسون، وبعضهم كان في أسلوبه، وفي انتظام رؤيته، ومنهجيته، وفي متانة ما يقرأ، ذا رؤيةً

أكاديمية، ولقد فرحت بما كتب، لأنه يسلط الضوء على أعمال روائي جدير بالاهتمام، ولم تعرف حمص في تاريخها حتى الآن روائياً كتب بهذا الزخم، وهذا العدد:

بدأ اسم عبد الغني ملوك يتردد في الأوساط الأدبية، والمهتمين بالأدب منذ أن افتتح داره (دار الرواية)، والتي تحولت إلى مركز يلتقي فيه أدباء، ومثقفون يتحاورون في شؤون اهتماماتهم:

وقد ذكر أمامي أكثر من مرة، وقال لي أحد الأصدقاء، أنه يعرفك، ويسأل عنك، ولم أعد أذكر كيف كان أول لقاء، فقد تفضل بزيارتي مع صديق آخر، وفور جلوسه ذكرني بأنه يعرف بيتنا منذ مطالع ستينات القرن الماضي، وقد كان بيتنا عبارة عن غرفتين من (اللبن)، وأنه أخذ مناشير للحزب (حزب البعث)، من المرحوم أخي خضر ليقوم بتوزيعها، إذا هو ابن انتماء نضالي، يوم كان الانتماء قيمة حقيقية، لا درجة الصعود السلالم المتتابعة، ولا انتهازاً للفرص، أو مأوى للتستر :

أشير إلى أن حمص ظلت في فترة طويلة تشكو من قلة الأدباء الروائيين، فهم مقارنة بعدد الشعراء المجيدين فيها، بضعة أسماء، وربما حشر بينهم في التصنيف كروائي، لسبب أو لآخر، من شكى إنتاجه من الرخاوة والتفكك، والاندياح، وغلبة المباشرة:

نقطة أخرى تشير إليها هي أن الملوك أمضى شطراً مديداً من عمره كعسكري، وبعد أن استقال من الجيش، عمل في المحاماة زمناً طويلاً، وذلك يعني أنه كان منصرفاً لعمليه السابقين اللذين لا يتركان فرصة لغير العمل، ولم يكتب الرواية إلا في زمن متأخر، هذا يدل على أنه كان قارئاً نهماً للرواية ولغيرها وإلا لما استقامت له اللغة، ولما اهتدى إلى هذه الطريقة المتماسكة في بناء رواياته، ولما أتقن هذا النسج على نوله الخاص، ما سبق استدعى إلى الذاكرة أسماء عدد من الذين كانوا ضباطاً في الجيش وكتبوا الرواية، ولا أذكر منهم الآن إلا مروان السباعي من (حمص)، وموسى العلي، ومحمد إبراهيم العلي، ومسعود جوني، وهلال الراهب الأخ الشقيق لـ هاني الراهب، وهذا يؤكد أن الثقافة كانت هما حقيقياً لدى أبناء هذا الجيل، كما كان الانتماء العقائدي السياسي، وكانت الثقافة قيمة يحترمها فيك حتى عدوك، وتلك سمة من سمات خمسينات القرن الماضي، واستمرت فترة من الزمن، فقد كان من يطلق عليهم اسم (رجعيين) يتعاملون مع المثقف الذي يقابلونه بمزيد من الاحترام، رغم الفارق الإيديولوجي بينهما،

وبدأت هذه الظاهرة تنصر شيئا فشيئا مع تقديم المصلحة الشخصية على المصلحة العامة، ومع الهشاشة في جدية الانتماء، والعمل على الكسب المادي، أو الوصول إلى موقع يؤهل لذلك، وشيوع الانتهاز ، وسادت فيما بعد روح التكاذب، والاستئثار ، وشروع مضمون (بارك الله بمن استنفع ونفع، فغلبت روح (المقاولة) على روح المناضلة)، و كاد يعم الغش لولا بعض الاستثناءات التي لا يقاس عليها، وانسحب نقاء السلوك والضمير ، وطردت العملة الزائفة العملة الصالحة.

أصدر الروائي الملوك، اثنتا عشرة رواية حتى الآن، ونشرت أول رواية له عام ٢٠١٥ وآخر رواية عام ٢٠٢٢، وهذا يعني أنه كتب روايتين في العام وهذا دليل غزارة وكأنه يريد استدراك ما فاته، يوم كان عمله في الجندية والمحاماة لا يسمحان بفتح هذا الأفق الواسع وقد لا يعني العدد شيئاً في التقييم النهائي، فالأهم هو بنية الرواية، وقدرتها على إثبات وجودها بجدارة

ينتمي عبد الغني ملوك للفكر القومي الوحدوي التقدمي، الداعي للعدالة الاجتماعية، وهو من المخلصين له أشد الإخلاص، ولكنه لم يترك لهذا الانتماء أن يطغى خطابياً، على شغله الروائي بل ترك الأحداث تُعرب، وتفصح، وتشرح، فهو منحاز فيها لما هو وطني قومي تقدمي ويقف في صف الفقراء في وجه المتغوّلين في أي زمن، حريصاً على العدالة الاجتماعية والتقدم، وعلى ما يساعد على تفتح الإنسان، داعياً لأفكاره عبر الأزمنة الروائية بشكل غير مباشر داعياً لمزيد من حرية الفكر، وأن لا يكون مؤطراً في رؤى ضيقة أو في مراجع رئة كانت سبباً في التخلف، والفرقة، والاقتتال، فهو يغوص في واقع المجتمع يحلل ويسرد دون مباشرة فجة، قد تضعف النص بل عبر الحدث، فالحدث هو الذي يقول ما يضمره الروائي، سواء كان سلباً أم إيجاباً .

والملوك معلم في حبك الأحداث، وفي تحريك الشخصيات، ولا يدرك هذه الصعوبة إلا من حاول كتابة الرواية، أو ما يمكن أن يصنف في خانة الرواية كالمسلسلات التلفزيونية أو الإذاعية، وهذا يحتاج إلى شدة انتباه، وضبط، وإلى ذاكرة لا تغفل عن

شيء مما أنشأه الكاتب، وحين تكثر الشخصيات، تزداد صعوبة الإمساك، وهذا دليل على نباهة الذهن وحذقه :

الأحداث عنده ليست سرداً سطحياً متتابعاً، بل هي منسوجة بوعي من يعلم أنه يشيد بناءه بروية وإتقان، فوجود أشخاص عديدين يلزمه خيال واسع يهيئ الأرضية الصالحة، بألوانها، وأناسها، وهذا يلفت إلى أن الملوك لم يقدم شخصيات وصوفها خارجية فحسب، بل يغوص في تحليل نفسيات بعضها، دون أن يستجره ذلك إلى الإغراق في شواسع علم النفس، وشخصيات رواياته متماسكة بنائياً، فهي تحافظ على ملامحها الروائية أفكاراً وسلوكاً، مما يزيد البناء الروائي جمالاً، الشخوص في روايات الملوك جميعهم فاعلون، حتى الذين يبدو عليهم أنهم شبه غافين، فهم فاعلون في دلالاتهم الزمن في عوالمه الروائية هو زمن الحدث وليس ثمة رموز مبهمة، فالوضوح عنده سمة إلا ما قد يوحي بالإحالة بحسب فهم القارئ، والذي هو طرف فاعل غير مباشر بالنص:

اللغة في روايات الأستاذ ملوك لغة سردية فصيحة، لا تقعر فيها ، ولا مبالغات، ولا ذهاباً لعوالم الجملة الشعرية التي يعتمدها البعض، بل هي اللغة التي يفهمها أستاذ الجامعة، والقارئ البسيط، حتى لكان كل جهده كان مرتبطاً بالأحداث وربطها، لا بما يزينها من خارج وهذا قد يترك فسحة أوسع للتخيل أكثر مما قد يحدد بالجملة، أقول (قد) ومسألة شعرنة اللغة في القصة أو فى الرواية مسألة تختلف فيها الأذواق، بين مؤيد ومعارض، كما تختلف حضوراً وتأثيراً بين كاتب وآخر، وقد تكون عند هذا في غاية الروعة والألق، وقد تتحول إلى عبء على العمل عند آخر:

العوالم التي رصدها عبد الغني ملوك، تمتد في أزمنتها من أيام الأتراك، وحتى اختيار الأيام التي تتحرك فيها الشخوص، وبعضها ملتحم بزماننا الذي نحن فيه، وهي عوالم واقعية اجتماعية وهي ليست واقعية تسجيلية، بل تخلق واقعاً خاصاً بالرواية تخيره المؤلف، واقعاً في بعضه يبدو متخيلاً ليمرر عبره حدثاً ذا فكرة فهي تجمع بين الواقع الزمني المعاش، وزمن الرواية، وتقترب في (بعض) أحداثها، وفي تلاوينها من

الواقعية السحرية، وفيها التاجر، والطالب، والعامل، والأكاديمي، والنظيف والمحتال، والعسكري، وابنة الريف، وأبناء المدينة يمثلون شرائح المجتمع الموجود في الرواية

حين تتحقق المتعة، وتجذبك الرواية بحيث تتركها وأنت متلهف لمتابعة المجريات، فذلك يعني أن الرواية قد حققت مبتغاها ، وهذا ما وجدته أثناء قراءتي لروايات ملوك، ولا يفوتني أن أشير إلى أن هذه الروايات ليست في مرتبة واحدة، ولا تخلو من بعض التفاوت، وهذا يرجع لإحساس القارئ، أما الروائي فكل رواية بمثابة الابن، ويتفاوت الأبناء كل بحسب إمكاناته، ولكنهم يظلون أبناء،

لا يفوتني أيضاً أن أذكر أن ملوك كان جريئاً في بعض طروحاته، كالتصريح بـ (التقمص)، وكبعض المواقف المتعلقة بالجنس، ولكن مروره بالجنس مر مروراً لطيفاً فلم يكن هدفاً إلا بمقدار ما تستدعيه ضرورة النسيج فى حبك العمل، وحين وجد أن ثمة من لا يروقه ذلك عدل إلى تلطيف الموقف،

إنها مجرد إطلالة، إطلالة معجب، محب، ولا تتجاوز التعريف أو اللمح، أرجو أن تساهم في تقديم إضاءة:

عبد الكريم الناعم

حمص - آيار – ٢٠٢٣

توطئة وتقديم

البعدان الاجتماعي والفني في روايات الأديب عبد الغني ملوك

نزيه شاهين ضاحي

روايات عبد الغني ملوك كتبها في كل الأوقات من دون توقف على مدار الساعة في معظم الليل والنهار وخلال النوم واليقظة ، في الجلوس والقيام ، في الصحة والمرض في الحزن والفرح ، واستعمل في كتابتها أكثر أعضاء جسمه : اليد واللسان والعين وكل إمكانات نفسه : المشاعر والأفكار والانفعالات والدوافع والأفعال وردود الأفعال تعود معرفتي بالأديب عبد الغني ملوك إلى لحوالي خمس سنوات فقط بالحساب الميلادي أما بالحساب الشعوري فاعتقد أنها تتجاوز خمسة عقود ، لأني لمست في شخصيته والهيبة والوقار والهدوء والاتزان والصوت الدافئ الذي يشعرني بالمودة والأمان ، كما ازدان بثقافة موسوعية ، وأريحية صادقة في التعامل مع أصدقائه ومعارفه كافة وما أكثرهم.

ومن خلال دراساتي النقدية المعمقة لكافة رواياته بدءا من (السوسن البري (وانتهاء ب (أواخر الأيام) وجدت أنه صاحب مشروع إنساني تنويري ، سطح كنجمة في سماء مجتمعنا ، بتجسيده بين النظرية والتطبيق والشكل والمضمون مطلقا الزغاريد في غرفة الأحزان فهو يدعو إلى توهج قيم الحق والخير والجمال) بعد أن خبا نورها في الأزمنة الأخيرة في المجتمعات العربية كافة ومن الملامح الجريئة لهذا المشروع : دعوته المدوية إلى محاربة الفساد ، ومحاسبة رواده ، وتجفيف منابعه ، وكذلك النضال الدؤوب لتحرير المرأة من قيود الجهل و التخلف ، وإعطائها فرصتها في الإبداع والمشاركة ببناء المجتمع ، ومن بنود مشروعه السامي رفع شعار التسامح الديني مقابل الشعار المقيت المرفوض التعصب الديني ، كذلك رؤيته النقدية الجديدة لبعض جوانب التراث العربي ، لتنقيته مما علق به من تزييف وشوائب ، يضاف إلى ذلك تنمية

الشعور القومي عن طريق حب الوطن ، وحمايته من الأعداء والتضحية في سبيل تحرير بعض أراضيه المحتلة كفلسطين والجولان مع التركيز الواضح على جبل الشباب.

كان مؤلفو الروايات في العصور الماضية ، لا يتكلمون إلا عن القصور ، ومن فيها من الملوك والنبلاء والأشراف ولم يكونوا يعرضون للكوخ ومن يسكنه إلا لإضحاك الأمراء عن طريق السخرية من الفقراء والمعدمين ، ثم انتقلوا إلى فهم أن كل شيء ، يصح أن يكون موضوعا للأدب أو موضوعا لقصة أو رواية ، فالكوخ الحقير كالقصر الكبير، والسبق الفني يكون لطريقة المعالجة ومهارة الكاتب في الصياغة، وفي معظم روايات عبد الغني ملوك تجسدت هذه المقولات بشكل عفوي وتلقائي فالرجل الصغير في المجتمع وقاع المدينة حاضران بهيبة وتقدير واحترام ، فهو يستخدم الخيال الخالق في الحقائق الجافة فيجعلها تورق بالجمال والابتكار .

في معظم الأحوال الرواية مدينة بوجودها لاهتمام الرجال بالنساء ، واهتمام النساء بالرجال ، فكل شيء في الرواية صادق إلا الأسماء والتواريخ ، وكل شيء في الدنيا كاذب إلا الأسماء والتواريخ ، والرواية الحقيقية تصنع من الحياة ويتجسد في أدب الروح لا أدب المعدة ، وفي كل رواية من روايات عبد الغني ملوك نراه يضيف جناحا إلى جناح وغرفة إلى غرفة في مدينة الحقيقة ، وتسعى أهلته لتصير بدورا في أفقها ..

التاريخ في روايات عبد الغني ملوك ليس استاتيكيا أي أن وقائعه مدونة كما وقعت فعلا بجمودها وانحيازها الأعمى بل هو ديناميكي ، يدرس تلك الوقائع الاستنباط الحكم والعبر منها فهو ينور على العبودية الفكرية في روايته (احلام الذئاب) وينطلق متحررا من بين الظلم والاستغلال في روايته السوسن البري فالريح القوية تطفئ الشموع الضعيفة ، لكنها تؤجج النار القوية ، والألفاظ في روايته جزلة ليست غريبة ولا سوقية ، ولا تتحاور فيها العامة بالمجالس والأسواق ، ولكنها تدرك معناها إذا سمعتها في حوار أو قرأتها في جريدة دونما الحاجة للعودة إلى القواميس اللغوية .

للأسف فإن كل ما هو لا فائدة منه جميل وكل ما هو قبيح نافع ومفيد ، لذلك فإن الشر ينتصر في معظم روايات عبد الغني ملوك ولكن لحسن الحظ ينتصر لبعض الوقت فقط ثم تنبلج شمس الخير ، فتبدد بنورها كل الشرور والأنام ، والمعادل الموضوعي في رواياته أنه لا يعبر عن أرائه تعبيرا مباشرا بل يخلق عملا أدبيا موازيا فيه مقوماته الفنية الداخلية التي تكفل تبرير الأحاسيس والأفكار للإقناع بحيث لا يشعر المرء أن الكاتب يملي عليه دروسا في الوعظ والارشاد الذي بات الآن أسلوبا ممجوجا في التعبير الروائي المعاصر بل يفتح أمامه أفاقا جديدة ، تدفع حدود معرفته الثقافية إلى الأمام فيشعر أن الأقدمين من نوابغ الأسلاف لم يموتوا بعد ، وهنا يلعب الإيحاء والتجربة وقوة التصوير دورا مكملا ، لابد منه ليضيء المشعل الطريق الروائي عبد الغني ملوك ملتزم بالفكر والشعور والفن بقضايا قومه الوطنية والانسانية وفيما يعانون من آلام وما ينشدون من آمال وليس ذلك من خلال هدم القديم بل تمثله لإقامة الجديد على أنقاضه ، وأننا عند ما نركض باتجاه الله عز وجل) فإنه يلاقينا في منتصف الطريق ، أما الجنس في رواياته فيتمظهر كرقص الباليه ويقدم الاباحية ففي شوارع الذهب في هذه الروايات نتحول بفرح ، فلا نصادف صالونا لصبغ الأظافر و ولا محلا لتصفيف الشعر ، إنما نداء مخلصا لإعلاء الهواجس الجنسية المدمرة لدى الشباب خاصة وتوظيفها بشكل إيجابي من خلال ممارسة الرياضة والرحلات والهوايات النافعة كالمطالعة وجمع الطوابع وغيرها .

يحاول الروائي عبد الغني ملوك جاهدا أن يصور العلاقة الحميمية التي تربطه بالبيئة الحمصية المحلية من خلال أحاديثه عن أحيائها : باب دريب ، الحميدية ، باب السباع ، نهر العاصي وغيرها وذلك تمهيدا للانطلاق إلى العالمية من خلال ترجمة رواياته في السويد وكندا واستراليا .

الروايات:

١ - السوسن البري

نقد وتحليل : نزيه شاهين ضاحي

أن السيرة الذاتية لـ (صطام الخصينجي) من مدينة حمص هي باب الدريب المعروف بأصالة قاطنيه وشهامتهم وغيرتهم الوطنية هي اختصار لسيرة حياة معظم الشباب السوري في فترة الأربعينيات والخمسينات والستينات في القرن العشرين وتتلخص في البحث المحموم عن انتماء سياسي ، لايهم أن كان يساريا اشتراكيا أو يمينيا رأسماليا أو دينيا متطرفا أو قوميا عربيا أو سوريا المهم أن يحصل الشاب السوري إلى جانب هويته المدنية على هوية سياسية يحملها لفترة تطول وتقصر حسب ما يكتشفه من مصداقية في مفرداتها وقد يغير انتماءه إذا انفتحت امامه آفاق جديدة تدعو إلى إهمال القديم المتهافت واللهاث وراء الجديد الصاعد .

ولم يكن لدى (صطام)الإيمان الكامل والمطلق بأية أفكار أو منطلقات فكرية أو سياسية أو عقائدية وحتى النظريات التي قرأها في بعض الكتب كان له موقف محدد منها وهو أنها كلها تمثل جزءا من الحقيقة مع أنها تدعي أنها تحتكرها أما حقائق الأخرين ماهي (في رأيها) إلا زيف وادعاء باطل وتبلور لديه الاعتقاد أن على الانسان أن ينير المكان الذي هو فيه من خلال اخيه الإنسان

ثم ينطلق قطار حياة (صطام) بطل الرواية من مدينة حمص مسقط رأسه ومن حي باب الدريب تحديدا حيث كان في العاشرة من عمره ويتابع دراسته الثانوية ويساعد أباه في أوقات الفراغ بترميم البيوت الطينية المتداعية في فصل الصيف ثم يحصل على الشهادة الثانوية العامة الفرع العلمي بتفوق كبير .

ويتوقف هذا القطار الحياتى فى محطته الأولى بمدينة السحر والجمال والطبيعة الخلابة والتاريخ العريق مدينة دمشق الخالدة على مر العصور ونهرها الرائع الجميل الذي يغدق الخير في جنباتها بين السخاء والكرم نهر بردى بمائه العذب وطعمه السلسبيل الطيب حيث سيتابع دراسته في جامعتها العريقة فرع (ر،ف،ك) ويقيم في غرفة مستأجرة عند عائلة فقيرة فقدت معيلها بسبب سجنه بتهمة انتمائه لحزب راديكالي محظور وكان يعمل في تصليح الاحذية قبل اعتقاله وهذه العائلة مؤلفة من الأم وداد وابنتيها ميادة وتماضر في المحطة الثانية بمدينة الياسمين دمشق يتعرف صطام على عدة نساء يلعبن دورا محوريا في حياته (لورا) التي تعمل كوفيرة) أي حلاقة نسائية تحاول إغواءه بعد أن أشهرت في وجهه أسلحة الجمال والإثارة و الإغراء ولكنها تفشل ميادة) التي تحبه بصمت القبور (تماضر (التي يلقى القبض عليها لأنها ناشطة في ظيم ديني محظور (مرغريت) الفتاة الجميلة صاحبة الثراء الفاحش المدللة عند أبيها المليونير المعروف بحيث لا يرفض لها طلبا مهما كان مبالغا فيه فيقع في حبها مرغما مع يقينه بالفارق المادي الكبير بين أسرته المتواضعة الحال واسرتها الغنية حيث الهوة الاجتماعية سحيقة ويغامر في لحظة خيال جامح في طلب يدها فيقابل طلبه المتسرع بالرفض الشديد من قبل والدها لأنه فقير الحال وغير قادر على تأمين حياة الرفاهية لابنته في المحطة الثالثة يلتقي بعدد من الرجال الذين يغيرون مجرى حياته (مروان الاسكندراني) وهو ابن متنفذ كبير يحاول اختطاف فتاة ليغتصبها فينقذها صطام) من براثنه في اللحظة الأخيرة أدهم الأملس رجل ثري جدا يحب المال ويجعله غايته الوحيدة وقد جمع ثروته من عمليات النصب والاحتيال والتهرب الضريبي وهو والد (مرغريت) التي ذكرناها آنفا .

ومن هؤلاء زياد النيسابوري (الرجل العصامي الذي صار محاميا مرموقا لامعا بسبب طموحه الكبير وفى المحطة الرابعة يتخرج (صطام) من الجامعة محتلا المرتبة الأولى على دفعته حيث يحق له التعيين معيدا في نفس الجامعة دون مسابقة حسب القوانين النافذة ولكن للأسف فإن طلبه يرفض بسبب تقرير كيدي فيعود الى مدينة حمص مكسورا حزينا محطما وتنحدر روحه المعنوية الى درجة الصفر ولكنه بتشجيع من وأصدقائه يتغلب على أمواج الحزن المتلاطمة حوله لينطلق من جديد فيصبح رئيسا للبلدية بعد فوزه الساحق في الانتخابات ويقوم بحملة واسعة ضد الفساد طالت رموزه الكبيرة قبل الصغيرة كما جرت العادة سابقا ويصل قطار حياته الى محطته الاخيرة

ويتزوج تماضر التي اصبحت طبيبة ويتم تعيينه معيدا في الجامعة بعد ثبوت براءته من التقرير الكيدي وترسله الجامعة الى فرنسا للاختصاص بالعلوم الذرية بعد رفضه تعيينه وزيرا لأنه وجد في هذا المنصب الهام محرقة له من خلال هذه السيرة الذاتية ل صطام يمكننا تلمس ملامح شخصيته المميزة والتي تعد نموذجا صالحا متفردا وليست نمطا مكررا لا يلفت النظر فهو لديه تحليل عميق للقضايا الاجتماعية وفهم واسع لمفهوم الثورات الحقيقية وهدف الديانات السماوية التي تبنى على الاخاء والتكامل والتفاهم والتلاقي والموعظة الحسنة وتصب في بؤرة واحدة غايتها النهوض بالإنسان والمجتمع نحو أفاق جديدة من التطور والتقدم والازدهار وقد جسد بسلوكه العملي ما امن به من أفكار سامية ويتجلى ذلك من خلال افتتاحه لمستوصف خيري يقدم خدماته لأهل الحي مجانا وتشكيل لجنة إصلاح ذات البين الهدف منها حل مشكلات العائلات قبل اللجوء للقضاء بالإضافة الى بناء ناد رياضي لممارسة الألعاب الرياضية .

في الرواية إدانة قوية لبعض الاحزاب الراديكالية التي انقلب قادتها من قاع الفقر المدقع الى قمم الاملاك والارصدة واصبحوا يركبون السيارات الفارهة ويعيشون فى القصور الفخمة ويرتدون الثياب المستورة ومن ارقى الماركات العالمية في الوقت الذي يعاني فيه أعضاء الحزب من الفقر والحرمان إن هذه السيرة المشرفة للشاب صطام الخصينجي (يمكن اعتبارا قدوة حسنة لشبابنا وسلوكا رائعا لهم واجابة واضحة على تساؤلاتهم الفلسفية فى مجال الحياة والدين والسلطة والشهرة والمال وكيفية إدارة الصراع بين هذه الاقطاب الاساسية التي تتحكم في حياتهم وأن لا يكونوا حياد بين بشكل سلبي بل منحازين الى جانب قيم الحق والخير والجمال والعدالة وكما قال الشاعر الايطالي دانتي البيجيري) في كتابه الكوميديا الالهية (إن أشد الاماكن قسوة من الجحيم أعدت سلفا للذين وقفوا على الحياد عندما نزلت والكوارث ببلدانهم) فلا حياد أبدا عندما يتعلق الأمر بالوطن الرواية تعبير عن الحياة بعبارة جميلة ومفيدة حتى تلج أبواب الخلود والأسلوب هو طريقه تعبير المؤلف عن نفسه وأفكاره لذلك قبل الاسلوب هو الرجل وقد كان أسلوب الرواية التي نحن بصددها سهلا ممتنعاً احيانا وتقريرا مباشرا احيانا أخرى وهذا التلوين في الاسلوب اقتضته ضرورة الأحداث والمضامين فقد كانت جمله طويلة وقصيرة في أن معا وكثيرة المقاطع ذات فخامة وجلال ومألوفة لدى القارئ العادي أما الالفاظ فهي غير متكلفة ولا تحتفي بالزخرف الزائد أو التقعر اللغوي فاستعمالها صحيح واضح ومنسجم مع المعاني والحوار بارع يخدم سير

الأحداث ويصور الاشخاص وعلاقتهم بالحوادث وهو طبيعي ملائم للموقف وحيوي متدفق بالسلاسة والعذوبة ويراعي المستوى الثقافي لابطال الرواية أما الخيال فهو أجنحة الرواية يحلق بها إلى آفاق الجمال وقمم الأبداع ويصيب الوتر الحساس من الذوق العام ويضبط الانفعالات وينظمها وأدوات الخيال التشبيه والاستعارة والصور الفنية) التي تحول الحقائق النفسية والادبية المجردة لتكون واقعا محسوما وهذا ما حاول الروائي عبد الغني ملوك في روايته هذه السوسن البري (أن يرتقي الى مستواه فقد دار بعدسته الذهبية في زوايا الواقع والتقط صورا متعددة بالألوان أحيانا وبالأسود والأبيض أحيانا أخرى وفي التعريف الأكاديمي للصورة (أنها استحضار الشيء الغائب المحس بلفظ يدل عليه في حين غياب الشيء ذاته

٢ - جسر على نهر جاف (المعجزة)

نزيه شاهين ضاحي

في روايته جسر على نهر جاف يواصل عبد الغني ملوك ارتياد افاق جديدة واحتلال مساحات أخرى ودفع حدود كانت ثابتة لفترة طويل من الزمن نحو الوصول الى الملاذ الأمن للإنسان المتطهر من أدران الظلم والقهر والاستغلال والشر والفساد واستكمالا لمشروعه التنويري الذي اشتغل عليه في روايته السابقة وقد اتخذ من قرية كفر الرمان رمز افتراضيا اشكاليا يمور بالمتناقضات الصارخة بين قوى عاتية تمثل الشر المطلق مثل (الغريب) و (عقيل الاعرج) وابنه الشيطان جانتي وقوى ضعيفة تمثل بؤرا للضوء والخير مثل نمير اليقظان (حامل لواء المثل العليا والقيم الرفيعة في المجتمع والمغترب عاطف رغدان الذي نذر نفسه وثروته الطائلة لخدمة مجتمعه وفارس اليقظان) الشاب الذي يترسم خطأ ابيه على طريق الرقي بالمجتمع والنهوض بمرافقه المشلولة بسبب التواكل والفساد ويسود القرية فكر خرافي يعتمد على التفسير الخاطئ للدين الصحيح والظواهر الطبيعية والموروث الشعبي المنحل مما يلعب دورا مفصليا في بقاء القرية رهينة للفقر والتخلف ، ثم تشهد القرية احداثا مروعة وذلك بمقتل

عمران البيروني وشقيقه واغتصاب وقتل بشرى زوجة عمران واغتيال نمير العمران وتتفاقم الامور الى حد الاقتتال المجاني بين الحارة الشرقية والحارة الغربية في القرية وفي هذا الحقل المترامي من الاشواك الدامية والحنظل المر و اليباس المزمن تبرز وردة جميلة معطاءة ممثلة بالشاب فارس الذي يحاول مخلصا وبالتعاون مع موز الخير في القرية الى الدعوة الصادقة لمحاربة الفساد المستشري والظلم القديم والرشاوي المفروضة والمحسوبيات المقيتة مؤكدين على ضرورة التقدم والرقي والتطبيع والوعي ونبذ الخرافات واعتماد التفكير العلمي والتسامح الديني

ثم ينطلق هذا الفريق الواعي في القرية الى التطبيق العملي لما يؤمنون به عن طريق نهضة جبارة عمرانية وزراعية وصناعية يعم خيره القرية كلها بالإضافة الى الدعوة الجريئة لتحرير المرأة وتعليمها ونزولها الى ميدان العمل الى جانب الرجل وترك التواكل والكسل والخمول والجمود واخيرا زواج فارس من محبوبته حنان وتفوقهما في امتحان الشهادة الثانوية الفرع العلمي وسفر هما الى سويسرا لدراسة الفيزياء الذرية خدمة لوطنهما في هذا الاختصاص النادر الذي يحتاجه الوطن بهذه الرؤية البانورامية وضف الروائي عبد الغني ملوك رموزا عديدة في روايته وكل رمز فيها حافل بالظلال والالوان والمدلولات كما اغنى روايته بالكثير من الحقائق والمعطيات التي تضرب في صلب الواقع المعيشي مما يدل على شعور مرهف ومدروس لما يعانيه مجتمعه من انحرافات حادة وانزياحات مصيرية وتشققات عميقة تعوقه تماما عن الانطلاق من مرفأ الجمود الأسن نحو الامجاد السامقة والحضارات المتقدمة إن الطرح الجريء والناضج المشاكل المجتمع مع اقتراح البديل الموضوعي الأفضل يعني أن الروائي يحمل مصباح التغيير بيد والقلم الواعي بيد ثانية ويقف عند منعطف مصيري حاد بالمجتمع وبالرغم مما يعصف به من رياح عاتية شديدة البرودة وأمطار غزيرة تنسكب فوقه كالشلال غير مكترث بكل هذه العوامل المدمرة واضعا نصب عينيه مصلحة المجتمع فوق كل اعتبار يدفعه إلى ذلك إيمان راسخ بعدالة قضيته وأنه لابد من دفع ضريبة العرق والنصب والدم ادك قلاع الرجعية والتفسخ الاجتماعي البغيض وإحلال قيم الحق والخير والجمال والعدالة الاجتماعية محلها في نهاية المطاف أما عن الشكل الفني للرواية فقد اعتمد المنولوج الداخلي) (مناجاة النفس) (والمنولوج الخارجي) (مناجاة الآخرين) والمخزون التاريخي التراثي والمذكرات الشخصية التي تمنح من السيرة الذاتية والتبشير الوامض والحوار الايجابي ، وفيما أراه من أفق نقدي أعتقد أن

الروائي جعل من قرية كفر الرمان) معادلا موضوعيا للمجتمع السوري قاطبة مع وجود بعض الاستثناءات التي لا يعتد بها فمعاناة القرية من الأمراض الاجتماعية المزمنة التي تعوق جسد المجتمع عن الحركة الصحيحة وتعطل الطاقات الجبارة الكامنة هي نفسها أمراض المجتمع السوري وقد لا تكون مبالغين اذا قلنا أنها نفس الأورام السرطانية التي تنخر جسد المجتمع العربي بكامله وهذه التقنية الروائية في القص والسرد اتبعها الكثير من الروائيين قبله وذلك الأسباب متعددة كالهرب من قفص الرقيب مثلا نحو فضاء الحرية التي تتيح له التعبير عن مكنونات نفسه بشكل أفضل غني بالجرأة والصراحة والموضوعية دون مواربة أو مجاملة أو ارتداء الأقنعة الزيف والمجاملة إرضاء لهذه الجهة أو تلك أن الخيال يكسو الأفكار أثوابا من الصور المحسوسة فتبدو واضحة جلية بعد أن كان يلفها الضباب والغموض وهو روح الرواية وسبب نجاحها وقد وظف الروائي الخيال منذ بداية روايته فتصور قرية خيالية كفر الرمان) وراح ينسج على منوالها (يوتوبيا) معاصرة تمور بالأحداث الواقعية الانتقادية التي انهالت زخات من المطر الغزير صنعت في النهاية مجرى فنيا خاصة بها يعتمد الإيحاء والتحريض حيث تدفق نهر الزمن مغيرا كل شيء في الراوية اطار

فني غير مألوف يشع جاذبية أضاف عليها جمالا أليفا إنه جمال الروح الثابت وليس الجمال القشري الزائل للجسد إنه تحليف بأجواء تصويرية من الدوافع والانفعالات والمفاجآت والنتائج غير المتوقعة ، إنها كتابة توعوية شكلت كاسحة الغام للجهل والتخلف والتقاليد البالية منظفة الطريق أمام مسيرة الفكر الجديد الراقي الذي يعتبر أهم البنود في المشروع التنويري الذي يتبناه المؤلف منذ بداية طريقه الروائي.

٣- أواخر الأيام

نزيه شاهين ضاحي

الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يعرف أنه سيموت مهما عاش من العمر ، لذلك فإنّه يعمد في أواخر أيامه إلى مراجعة صارمة وصريحة لسجلات حياته الماضية فيحاول إضاءة ما عتم منها بشموع الغفران والتسامح جميع وطلب الرحمة ، لأن الساعة

الحقيقية إذا دقت ، أخذ . الخلق منها حصصاً متساوية من الرعب والخوف و الانكسار والخشوع ، يتساوى في ذلك أشجع الشجعان وأجبن الجبناء .

وفي هذا التيار الجارف يطفو على سطحه المدعو (عبد القادر) بطل روايتنا هذه ، وهو يسبح بتصميم وجلد عكس التيار على الرغم من عتوه وارتفاع هذه ، فقد عاش معظم حياته حارساً للمال دون التفكير باستثمار أمواله الطائلة التي كانت بحوزته في مشاريع خيرية أو ربحية ، متناسياً عن غير عمد المقولة الذهبية للإمام علي بن أبي طالب)

كرم الله وجهه اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا وفي صحوة ضميرية مفاجئة ، قرر تغيير مسار حياته بعد أن برزت عوامل متعددة شجعته على هذه الانطلاقة الجديدة المتحررة من قيود الجشع والطمع وعبادة المال الذي لم يتعب في جنيه بل ورثه عن أبيه .

يخرج من مغارة أهل الكهف التي كان يتشرنق داخل صدقتها القاسية منذ أكثر من خمسين عاماً ، ينام وعيناه مفتوحتان طوال أوقات الليل والنهار يخرج إلى فضاءات جديدة تشرق فيها شمس الأماني ويضحك في أفقها قمر الأمل ، ومن مفرداتها حب الآخرين والرغبة الصادقة في مساعدتهم ، لعله يكفر عن الأيام القاحلة الماضية التي أهدرها في عبادة وثن المال الذي سبب له ساماً قاتلاً وفقراً روحياً مدفعاً ، حيث التمس له سبلاً للتخلص من تداعياته عند الطبيب النفسي وفي زوايا الدروشة والتصوف فلم يستفد شيئاً .

واخيراً بحث عنه في مصح جنسي للرجال الشبقين أمثاله وفي الحب العذري فازدادت الأمور سوءاً وكان الناس حوله يعانون العوز والفقر والغرق في مستنقع الجوع والمرض والعذاب والحرمان والمرارة والألم ، ولكنه تجاهلهم عامداً متعمداً حتى بدأت تلوح في أفق حياته المقفر بروق كابية من الوعي الروحي والنضج الاجتماعي اعطته

شحنة كبيرة لكيانه الجديد الذي كان في طور التشيؤ والتعضدي وتجسد ذلك بتبرعه بمبلغ مليون ليرة سورية إلى جمعية خيرية تدعى (حفظ النعمة التي تستهدف مساعدة الفقراء .

إن أية حفريات معرفية في طبقات هذه الرواية تسعى إلى الوصول لقاعها الأساسي يجب أن تنطلق من المضمون أولاً للوصول إلى الشكل ثانياً ... الشخصية الثانية (عباس الداعور الذي اختصر في شخصيته العجيبة كل الموبقات التي حللها لنفسه حيث تسلل بخفة ودناءة إلى عالم (عبد القادر المكاثر) الذي تحدثنا عنه أنفاً بدهائه وسطوته وانعدام أخلاقه وغفوة ضميره حتى توصل إلى أن يكون شريكاً له في المتجر الضخم بسوق الحميدية العريق بمدينة (دمشق) ويقدر ثمنه بعشرات الملايين وكان (عبد القادر) قد ورثه عن أبيه دون أن يبذل ذرة عرق .

كذلك نتعرف على شخصية الخادمة (سميرة درويش) التي استطاعت بمعدنها الكريم ، وطموحها الكبير وثقتها اللامتناهية بنفسها وبقدراتها اللامحدودة أن تنتقل من خادمة معدمة في بيت (عبد القادر إلى معيدة في جامعة (دمشق) بعد نيلها الشهادات المؤهلة لذلك وهناك أيضاً شخصية محورية ، ألقت بظلالها على أحداث الرواية ، وقادت بعض مفاصلها في بحر الظلمات والغش والخداع بعد دفن الأخلاق والإخلاص في قبر النسيان ، إنها (نور الصباح) الموظفة لدى (عبد القادر) بصفة مخلص جمركي، وقد أعلنت في النهاية عن ندمها ولكن لات ساعة مندم ، فقضت بقية حياتها عانس مرفوضة من الأقرباء والأصدقاء لأنها كانت شجرة من دون جذور وكل شجرة من دون جذور ليست سوى حطب يابس لا يصلح إلا للحرق.

أما (عبد القادر) وبعد نجاحات خلبية قليلة ، وإخفاقات مذلة كثيرة ، يقع فريسة جلطة دماغية كادت أن تقضي عليه كلية ، ولكنها اكتفت بأن سببت له شللاً نصفياً مؤلماً ، وراح يقضي وقته بالبكاء على أطلال حياته الماضية والحاضرة لعله يطفئ بعض حرائقها بدموعه الحرى ، معزياً نفسه بأنه حوّل بعض أمواله من مال ربوي مستغل إلى مال منتج يفيد المجتمع والبلد في وقت واحد ، ووصل إلى نتيجة هامة أن الأمور

تحسب بخواتمها والعبرة بمن يضحك أخيراً وأن السعادة الحقيقية نجدها في داخلنا وليس في أي مكان آخر ، وهي تنتظر منا أن نسعى لاكتشافها لتنعم بدفئها وعطفها وحنانها وخلودها .

هذه الرواية جرح في الروح ، وجرح الروح لا يمكن لأي نار أن تكويه ، لذلك فإنه يبقى نازفاً حتى الموت ، أما جروح الجسد فتشفى تلقائياً مع مرور الزمن مهما بلغت من العمق والعناد ، والروائي عبد الغني ملوك في روايته هذه ارتاد آفاقاً جديدة ، وسلك درباً بكراً بعكس رواياته السابقة التي حملت هموماً وطنية وقومية بامتياز ،

فقد استطاع أن يعزف ايقاع الحنان والحب ، وايقاع القسوة والعنف على وتر واحد معلناً أن السعادة تضيء في أعماق النفس كشعلة مقدسة، لا تطفئها شلالات الدماء حيث يخفت صوت العقل ، ويعلو صوت الغريزة .

وقد أحسن الروائي عندما وظف الدين بشكل إيجابي رائع موضحاً أن الدين جسر للعبور إلى حياة يسودها الإخاء والحب والتفاهم والتعاون في بناء صروح التقدم والازدهار ، ولكننا مهما حاولنا القفز فوق هضاب القص الروائي ، في هذه الرواية نجد أننا أمام بؤر تنويرية جاء أسلوب الروائي مقنعاً ، وعباراته موحية ومعبرة ، وكلماته جزلة وجمله متينة وصوره جميلة ومبتكرة مما شكل تطابقاً بين المضمون والشكل .

إن جلد الذات ، ومخاصمة النفس ، وتقريع الضمير سمات أساسية ، طغت على شخصيات الرواية الرئيسية مما أضفى على أجواء الرواية ظلالاً كابوسية سوداء، ولكنها عادت للمصداقية والبريق فيما بعد في إطار من المنولوج الداخلي لكافة الشخصيات التي لم تتوقف بتاتاً عن مناجاة الذات ومراجعة الأحداث، وتقويم المراحل واجتراح الحلول.

إن هذه الرواية قفزة جديدة ، أضافت إلى رصيد الروائي تراكماً جديداً بناء ، وهي نقلة أساسية لابأس بها ، حررته من كثير من القيود السابقة ، فراح يغرد خارج السرب الحاناً جديدة وأغنيات عذبة ، مبشراً بربيع آب يعد بكثير من الخير والعطاء والسلام النفسي في المعايير النقدية الأكاديمية الأسلوب لا يعني في صميم التصور البلاغي والنقدي مجرد كلمات منطوقة أو مكتوبة

بل يعني الفكر الذي يوجه هذه الكلمات ويختار نظامها حتى تصبح صوراً مرئية ومسموعة ومتحررة من الخيال الكسيح والتحنيط المزمن ، وبالتالي هو بساط سحري، يحلق بنا في سماء المتعة والفائدة ، فبطل الرواية (عبد القادر) أفاق من أحلامه الوردية على قبضة الحقيقة وهي تهزه بعنف واقعي صادم بعيداً عن أرستقراطية الأحلام وترفها غير المبرر .

٤- مرايا النهر

نزيه شاهين ضاحي (مجموعة قصصية)

مرايا النهر عنوان معبر وجميل ، ولكن ماذا يقصد المؤلف به ؟ هل المقصود نهر الحياة الذي يحفل بالمآسي والمسرات والتناقضات والمفاجآت ، وتسود فيه شريعة الغاب ؟ ويصوّر صراعاً بين قيم جديدة ، يمليها واقع متغير ، وقيم قديمة هي ميراث الفروسية وشراسة قيم الثروة والجاه والسلطان .

أم هو نهر العاصي) الذي يخترق مدينة (حمص) من الجنوب إلى الشمال نافخاً في جوانبها روح الحياة والخصب والنماء حيث روى بمائه العذب على مدى مئات السنين البشر والأرض والزرع والشجر والحيوان ، فكانت مدينة (حمص) هبة هذا النهر لأهلها ، لأنه أينما وجد الماء وجدت الحياة .

وقد اختار المؤلف عشرين قصة قصيرة ، تلامحت وجوهها في مرايا هذا النهر الحياتي الهام واضحة جلية ، ولم يبق إلا أن ينقلها إلى أرض الواقع على شكل حكايات ممتعة هادفة كان شاهداً عليها من قريب أو من بعيد أو مشاركاً ميدانياً في بعضها أيضاً ، وذلك بأسلوب فني راق، يثير الإعجاب والتقدير ، وهذه القصص جاءت متساوقة الحدث أو متماهية معه بعيداً عن جفاف الواقع مع ومباشرته .

والطريف في هذه المجموعة أن المؤلف اختار أسماء أبطالها لتكون عناوين جميلة لقصصه هذه ، بالإضافة إلى أنها جرت جميعها في مدينة (حمص) العدية ، فعلى سبيل المثال كان عنوان القصة الأولى (عنايات العطاس) التي رفضت الزواج على الرغم من العروض الكثيرة التي انهالت عليها، وقضت معظم حياتها شمعة تضحية ذابت بألم الإنارة الطريق لأخوتها الثمانية ، وقد تحملت مسؤولية تربيتهم الحسنة وتعليمهم العالي ، وتزويجهم من أرقى العائلات ، وكل هذا تم بعد فقدان والديها ، وظلت هكذا مقيمة في سجن التضحية من أجل إخوتها وتأمين مستقبلهم إلى أن تربعت على عرش العنوسة .

والقصة الثانية بعنوان (عادل العطاس) وهو أخو (عنايات العطاس الآنفة الذكر، ولكن نهايته فاجعة مؤلمة ، إذ وضع حداً لحياته بالانتحار بالبندقية التي كان يصطاد بها لأن أمه فضحته أمام رفاقه الطلاب في المدرسة عندما أخبرتهم أنه سرق قيمة الاشتراك بالرحلة المدرسية من جيب أبيه دون علم الأب ، أما الأم الجانية فقد طحنتها أضراس الندم على فعلتها النكراء بحق ابنها الوحيد وذلك عن حسن نية لأنها كانت تظن أنها بذلك تساهم في تقويمه وإصلاحه ، ثم ما لبثت أن ماتت كمداً وحزناً عليه .

وهكذا تنطلق القصص متتالية كغيمة عطر تعبر سماء ملبدة بغيوم الأحداث الجسيمة مزينة بأسماء أبطالها

(رغدان العطاس) (أبو أحمد الزبال) (مزيد البرادعي) (صبحي يقطين) وغيرهم من الأسماء المختارة بعناية بالغة إلى أن تصل إلى القصة الأخيرة وهي بعنوان (نوري الأبهر وتحمل الرقم عشرين ، وهي بمثابة مسك الختام لهذه المجموعة .

لاشك بأن أسماء أبطال هذه القصص على درجة كبيرة من الأهمية ، ولكن الأهم من ذلك هو تسليط الضوء على الأحداث المؤثرة والمهمة ، التي عاشوها مجبرين ، والأدوار التي لعبوها بمهارة على مسرح حياتهم التي قام المؤلف بتثبيتها في مجموعته القصصية هذه ، فحافظ بذلك عليها من أن تكون عرضة للوقوع في بئر النسيان والإهمال ، بالإضافة إلى الدروس المفيدة والعبر الناضجة التي يمكن استخلاصها من وقائعها المروعة المؤلمة أحياناً والسعيدة الفرحة أحياناً أخرى .

لقد نجح المؤلف في معادلة الإثارة والتشويق وبين المتعة والفائدة التي هدف إليها ، بعيداً عن التوثيق الجاف أو الوعظ والإرشاد ، ومن مآسي المجموعة مأساة (رغدان العطاس الشاب الجامعي المتفوق في دراسته بكلية الطب في السنة الثانية ، وقد أوقعته (ميساء) زوجة (سعيد) في هواها ، ولكن ثم كشف علاقتهما من قبل زوجها الغيور فطلقها لتتزوج من (رغدان) فيما بعد ، ولكنها تركته أيضاً بعد فترة وجيزة ، وهربت مع رجل آخر ، وبذلك قضي عل مستقبل (رغدان) بعد أن ترك دراسته الجامعية يأساً واكتئاباً .

وفي قصة مزيد البرادعي) نقد جريء وجاد للعادات البالية والممارسات الخاطئة التي يلجأ إليها بعضهم من خلال ادعاء القدرة على العلم بالغيب ، وإتقان علوم السحر والشعوذة وكتابة الحجب المزوّرة والدجل المخادع ، وكل

ذلك للإثراء السريع على حساب الناس البسطاء الذين مازالوا يؤمنون عن جهل وقلة وعي بجدوى هذه الأمور .

وفي قصة (محمد علي فلة) يتحدث المؤلف عن القضية القديمة الجديدة ، ألا وهي عدم وضع الرجل المناسب في المكان المناسب والكوارث الوطنية الناتجة عن هذا التصرف المقصود منه تخريب الوطن ومنع تقدمه وتطوره نحو الأفضل لأن الأمور تسير وفق الأهواء الخاصة والمحسوبيات المريضة ، لا وفق حاجة المجتمع ومصلحة الوطن، فـ (محمد علي فلة الذي درس في أمريكا ونال درجة الدكتوراه في علوم الذرة بمرتبة امتياز ، ورفض الإقامة فيها على الرغم من المغريات الكثيرة التي لا تقاوم وقد

عُرضت عليه كالمسكن الفخم والسيارة الفارهة والمراتب العلمية وفضل خدمة وطنه (سورية) فقوبل بالرفض واللامبالاة والعراقيل المفتعلة من قبل بعض الجهات المختصة فعانى من البطالة والفقر والعوز ، وتراكمت عليه الديون وسدت في وجهه السبل ، فقرر في لحظة يأس قاتلة العودة إلى أمريكا للعمل هناك . وهكذا تمضي بقية قصص المجموعة قاطفة ثمار تجارب إنسانية عميقة، تتجلى في ثناياها التضحية والفداء والوفاء والخيانة والأثرة والأنانية والاستغلال والكرم ، والوصول إلى المناصب العالية عن طريق إتباع أساليب بشعة وخسيسة تهدر الكرامة الإنسانية وتمحو الشخصية القوية ، ولعل قصة (إلياس كرام) تبدو لافتة للنظر أكثر من غيرها، ففيها حديث ممتع عن معالم (حمص القديمة التي نسيها الجيل الحمصي الجديد تماماً كمقاهي الميماس وديك الجن شاعر حمص المعروف ومأساته مع محبوبته (ورد) وكانت ترصع ضفة نهر العاصي وساقية الري وطاحونة القمح ومقهى المنظر الجميل) وحي الناعورة وكنيسة (أم الزنار العذراء (مريم) عليها السلام وبحيرة قطينة وغيرها من المعالم التي يجب الحفاظ عليها من عاديات الزمن .

فبعد خمسين عاماً أمضاها (إلياس كرام) في المهجر يعود المدينة (حمص) بثروة كبيرة جمعها بتعبه وسهره ويريد استغلالها لخدمة هذه المدينة ، ولكنه يصطدم بفقدان معظم هذه المعالم الأثرية الهامة بسبب الإهمال والجشع والتخطيط العمراني التوسعي الجديد ، ولكنه لا ييأس ، ويصر على البقاء لإنقاذ ما يمكن إنقاذه منها وبالتعاون مع الأوفياء والمخلصين من أبناء المدينة، وفي القصة قصيدة رثاء رائعة وصادقة لنهر العاصي وما حل به من الكوارث والويلات والتلوث .

فهذا النهر المميّز ، كان مفخرة مدينة (حمص) وموضع اعتزازها على مر السنين الطويلة الماضية ، ومقصد أهلها للترويح عن النفس ، والتمتع بهوائه العليل ومائه السلسبيل ذي المذاق الكوثري العذب، وتأمل مناظره الخلابة المضمخة بعطر الورود والرياحين ، أما اليوم فهو يمشي كشيخ شبه مشلول ، يئن بما يحمل في جوفه من الوحول والأقذار والزيوت والجيف ، وقد ماتت جراء ذلك الأشجار على ضفافه ، وتحوّل هواؤه النقي إلى غازات سامة ، تنشر العلل والأمراض والروائح الكريهة التي تزكم الأنوف .

وبعض الشخصيات في هذه المجموعة أمثال (جوزيف العور) و (محمود الدايخ) و (مروان الحانث) و (نوري الأبهر) و (هزيم البيوري لاحظنا أنهم يعبرون حقول الحياة بسرعة فائقة ، يستعجلون الثراء على حساب كرامتهم ومصلحة بلدهم ، يعانون من شبق جنسي مزمن ، فينزلقون إلى مهاوي الفسق والفجور والانحطاط الخلقي ، يحاولون

التمرد على واقع مفروض عليهم ، فيفشلون أحياناً ، وينجحون بشكل مؤقت أحياناً أخرى ، وبعضهم يفر من ميدان الحياة والمواجهة بالانتحار المزري الذي يلحق بهم وبأسرهم العار والشماتة .

أما المرأة في هذه المجموعة فهي إيجابية أصيلة (عنايات العطاس) نموذجاً وغانية لعوب (ميساء) و(هيفاء) وإيجابية فاعلة في المجتمع (بسمة) وهن يمثلن شرائح ونماذج من المرأة الحمصية التي كانت تساهم في صنع الأحداث الهامة في المجتمع الحمصي آنذاك والتي كانت تنوس بين الملهاة الكوميدية والمأساة الترجيدية ، أما تحرر المرأة في تلك الفترة (الخمسينات) فكانت نسبية حسب المنبت الطبقي الذي تنتمي إليه ، والهامش من الحرية التي يُسمح لها به .

وهذا لا يعني قبولهن بالواقع المأساوي المفروض عليهن من قبل الأهل والمجتمع ، فبعضهن حاولن التمرد الكامل ولكنهن حصدن ثماراً شديدة المرارة ، أدت بهن إلى السقوط في هاوية الهلاك ، وبعضهن أثرن السلامة بالقبول بالأمر الواقع على مضض بحيث بقين نساء آيلات للسقوط مع هبوب رياح التغيير .

في هذه المجموعة القصصية (عبد الغني ملوك) خيط فني قوي جمع هذه القصص التي كانت مشتتة كما يجمع الخيط حبات السبحة ، فبدت أنيقة جميلة تشع بالروعة وتسلي قارئها وتثقفه دون ترهّل أو رتابة ، ويحسب للمؤلف هنا توظيفه لزخم كبير من الصور البلاغية المبتكرة والتشابيه المتفردة والأجواء الموفقة ، مما أضفى على المجموعة جواً من النداوة والطراوة ، أنقذها من براثن الوثائقية الجافة التي تعتمد الأسلوب التقريري المباشر في معالجتها للأمور التاريخية لأن غايتها التوثيق وليس الفنّ .

نزيه شاهين ضاحي

- مجامر الروث

- في قبو الدير

- الحب في زمن التحولات (الثلاثية)

أ- التنظير الروائي :

الرواية هي كل عمل سردي مطوّل نسبياً ، معقد التركيب والبناء ، والقائم على تقنيات كتابية محددة ، وهي مصطلح من مصطلحات القرن العشرين التي عرفت الرواية بمعناها الشكلي الجمالي والمضمون السردي بأنها حديث محكي تحت شكل أدبي يرتدي أردية لغوية ، تنهض على جملة من الأشكال والأصول كالشخصيات والزمان والمكان والحدث يربط بينها طائفة من التقنيات كالسرد والوصف والحبكة والصراع .

وتظهر الشخصيات فيها من أجل أن تتصارع حيناً وتتحاب حيناً آخر ، لتنتهي إلى حل مرسوم سلفاً ، فهي بذلك ابنة الملحمة ووريثتها الشرعية ، بعد أن أفل نجمها ، وكانت تقوم على البطولة الفردية ، بينما الرواية تقوم على البطولة الجماعية ، وفي البداية كانت الرواية متزاوجة مع التاريخ زواج وفاء تنشد العلاقة الحميمية بينها وبينه حيث

توهم القارئ أن الشخصيات المرسومة هي حقاً تمثل أشخاصاً ، كانوا يحيون ويُرزقون.

وبعد فترة انتقلت إلى إبطال حتمي للتاريخ ، فكان الطلاق مؤكداً ، وتحوّلت شخصيات الرواية من تاريخية إلى ورقية ثم أصبحت الرواية أعمق مدلولاً، وأنفع وظيفة ، ومنبعاً سياسياً وثقافياً واجتماعياً ، وغدت وسيلة من وسائل التربية والتسلية والترفيه وتهذيب الطباع وترقيق العواطف وصقلها وحصاد حقول المعرفة الإنسانية إلى أن صارت أميرة للأجناس الأدبية الأخرى ، وغدت مرآة للإنسان المعاصر في أهوائه وأغراضه وقد اختارتها الأقدار لتكتب سيرة المجتمع .

ب في الثلاثية :

إن هذه الرواية بأقسامها الثلاثة هي واسطة العقد بين روايات عبد الغني ملوك فهي تقرع أبواب الأمل بيد ملطخة بالحبر في زمن انهزمت فيه مزامير الطرب والمحبة أمام طبول الحرب ، وعواء الحقد ، وزمجرة الكراهية الحب في القرن الواحد والعشرين ليس كالحب في القرون التي سبقته ، وهذه إحدى المقولات التي سعى إلى طرحها الروائي فما هي يا ترى الفروقات بين حب الأجداد وحبنا الآن من وجه نظر الروائي ؟

وهذه الفكرة سنسلط الضوء عليها ، وهي ضمن أفكار كثيرة طرحتها هذه الرواية كالحرب الأهلية اللبنانية بين الأخوة الأعداء ، والغزو الأمريكي الغاشم للعراق وكل فكرة حافلة بالخطوط والألوان والأبعاد والرؤى المبتكرة.

إن الحب مجموعة مشاعر وأحاسيس ، لذلك لا يستطيع أي مبضع أن يلج إلى هذه القيمة الإنسانية لسبرها وشرح كوامنها ، وكشف الغازها ، مما نحبه اليوم ، نكرهه غدا وما نكرهه اليوم نحبه غدا ، وشخصيات الرواية التي نحن بصددها ، لا تخرج عن دائرة هذا المفهوم ، ونصادف بين سطورها أشخاصا سلبيين كـ ياسر الخوخة) و

(جبور القناني) و (جويل) وغيرهم ، واشخاصا إيجابيين كالأب (أنطون) والشيخ (حامد) وغيرهم (الخزامي) أيضاً بروحها النقية وتطلعاتها المشروعة أما الأبطال السلبيون في الثلاثية فقد تلونت نفوسهم بعبادة الآلهة الجديدة المال والجاه والسلطة ، فادى ذلك إلى نخر عظام المجتمع الذي يعيشون فيه ، وتفسخ العلاقات الاجتماعية من حب ووفاء وعمل وتضحية وإيثار إلى كره وغدر وتواكل وانسحاب فغدر الابن بأبيه وخانت الزوجة زوجها وقتل الأخ أخاه في سبيل الاستحواذ على المكاسب العائلة بطرق خسيسة وغير مشروعة ، فكانت النتيجة الحتمية بيادر كبيرة من

الخيبة والفشل والبؤس والدمار والمرارة والشعور بالحزن والألم حتى في يوم العيد الذي غدا بلا لون ولا طعم ولا معنى .

والأبطال الايجابيون طووا أشرعة اليأس وحافظوا على نقائهم النفسي وحبهم السامي ونفخوا في جمرات الحق والخير والجمال التي حاول السلبيون إطفاءها فأعادوا لها التوهج والألق والبريق الكامن فيها وأعطوا لأجنحة الوطن الكسيحة دماء جديدة ، استطاعت أن تحلق من جديد في آفاق الانطلاق والانتعاش وقد اقترن البعد السياسي لأحداث الرواية بالبعد الاجتماعي وتجلى ذلك بالتحليل المعمق لهذه الظواهر التي سدت الافق العربي ومنعت أية بارقة أمل أن تلوح في سمائه ويحسب للروائي رؤيته المجهرية العميقة للواقع الاجتماعي المعيش بعيدا عن التزييف والفلترة والتشويه المعتمد من بعض وسائل الاعلام المغرضة بهدف التخريب والتضليل.

كما تحلى الروائي في سردة للأحداث بموضوعية صارمة ودراية متمكنة او مهارة فائقة في التحليل الواعي والتركيب البارع للوصول إلى النتائج الصحيحة المعتمدة على المنطق والحجة والدليل والبرهان .

تناول الروائي في ثلاثيته موضوعات حساسة مثل السياسية والدين والجنس بطريقة ذكية وراقية دون خدش للحياء العام ، بالإضافة الى اشارته الجريئة الى مكامن التطفل والفساد التي تجتاح بعض جوانب المجتمع كالجراد.

توافر في الثلاثية عناصر الإثارة والتشويق والنتائج غير المتوقعة والمتعة الراقية والفائدة المستدامة كما حاول الروائي الابتعاد ما أمكن عن التقريرية والمباشرة وذلك بإضافة لمسة شاعرية وجمالية خففت من جفاف المواضيع التي تضمنتها الثلاثية كما نجح في تصوير الأحداث بعدسة فنية وعبارات سلسة وجمل رشيقة وألفاظ جزلة ومعبرة .

من الأدوات الفنية الهامة التي استخدمها الروائي في تقنية الروائية المنولوج الداخلي وتيار الوعي والفلاش باك أي العودة الى الماضي الذي مات ولكنه يصرخ مطالبا بالعودة للحياة من جديد ولكن هيهات ، كما اتبع نظام الملصقات بالإضافة إلى عناصر القص التقليدي - المقدمة والعقدة والخاتمة (التي تلون غالبا انتصارا للخير قبل الشر مع توظيف ماهر للخيال والتشبيه والاستعارة والمجاز للتحليق بالثلاثية الى قمم فنية جديدة لقد لامست هذه الرواية الابعاد بصفحاتها التي قاربت السبعمائة صفحة تخوم الملحمة الانسانية المعاصرة ، بما اعتمل فيها من أمواج الاحداث المتلاطمة الجليلة وما تحمله أبطالها من معاناة شديدة وأوزار غديدة حيث كانت طبول الانتقام تقرع في صدورهم ونيران الحقد الأعمى تضطرم في قلوبهم ويستنشقون عطر الذكريات لحلوها ومرها اما صوت الحق والعدل فقد تخامد إلى حد الانطفاء و التلاشي وأهم نتيجة وصل إليها الروائي (عبد الغني ملوك) في ثلاثيته هذه أن الانسان طيب بالانفراد وشرير بالاجتماع .

- أحلام الذئاب

نزيه شاهين ضاحي

المدخل :

الرواية هذا الجنس الذي يعد في طليعة الأجناس الأدبية لأنه الفن الوحيد القادر على احتوائنا جميعا وهي اليوم تبرهن على تفاعلها المدهش مع شتى نتاجات الحضارة في العلم والأدب والفن والفلسفة إن مهمة الرواية هي أن تحيينا في تجارب انسانية أخرى غير تجربتنا الذاتية التي قد تكون صحراء مقفرة وذلك بالانفعال والحدس والاحلام فتزيح اغترابنا وتعطي حياتنا معان جديدة

الرواية فن قائم بحد ذاته وليس تحليقا في ارض خرافية نائية عن الواقع ، ولا هي تغريد النزوة الطليقة ، أو التدافع الاعتباطي، إنها نبض الحياة وجوهرة الثقافة وينابيع للإلهام لا تنضب عند المبدعين، ولكن فن الرواية من الممكن أن يشيخ ويموت بالجمود والاسبلة القاسية والرواسم المانعة وبموت التساؤل والتطلع الى المستقبل والظمأ الى المعرفة والتوق الى النقد الاجتماعي والدخول في بيت الطاعة ومن المدهش أنه كلما سمعنا من يعلن عن احتضار الرواية كنا على موعد مع ولادة جديدة لها على الروائي ان يدرس الممرات الانسانية كروافع الأقنية يغذي بعضها بعضا دون غرق المستويات في نهر المشاعر ودون الدخول في الزنزانات المنفردة (العزلة او البرج العاجي) ينبغي عليه أن يتعلم القوة وأن يتغلب على المحرمات البشرية الزائفة والمحظورات السلفية غير الاصلية وان يكف عن ربط موضوعه بالكسب الذي يمكن أن يخرج به واخيرا ان يرفع الرقابة اللاشعورية على ضميره .

على الرواية أن تختار الأجزاء المهمة من الحياة والابتعاد عن كل ما هو مألوف على أساس أنه واقعي ، بينما هو في الحقيقة واجهة للواقع ، كالطائر الذي يحاول التحليق بدون أجنحة كذلك إقصاء الأشكال المعروفة ، والبحث عن أشكال شفافة جديدة لم تُر من قبل ، مع حصاد جذري للحشو المألوف في الروايات التقليدية ، لأنه يحول من دون انتباهنا إلى العنصر الأساسي ، وتجريد الشخصيات من زخارفها المعتادة ورفض الوصف غير الضروري للعالم الخارجي ، وأن تكون الخاتمة في الرواية ضربة قوية يستمر صداها في أسماعنا مدة طويلة :

والسؤال الخارجي هنا ما مدى بروز هذه الخطوط التي ذكرناها آنفاً في رواية (أحلام الذئاب) لـ (عبد الغني ملوك) ؟

في الرواية قصاً وسرداً:

بماذا يحلم الذنب عندما ينام ؟ لاشك يحلم بأنه يقضقض عظام فريسته بأنيابه الفولاذية ، بعد أن نهش لحمها بمخالبه الإبرية الحادة ، أما الذنب البشري فيحلم بالثروات غير المشروعة ، والقصور الباذخة بأموال خزينة الدولة ، والسيارات الفخمة من جيوب المواطنين ، والرحلات المترفة إلى شواطئ الريفيرا بفرنسا وجزر الهاواي

وغيرها من المنتجعات التي لا يرتادها إلا فاحشو الثراء يحلم بهذا مع أنه موظف صغير محدود التفكير ، ولكنه جريء وقوي جراءة الذئب وقوته ، وبعد أن يجيء مدججاً بأسلحة الكذب والدجل والمداهنة والتملق والخداع ممتطياً جواد النفاق والغدر ، ينطلق في الغابة الإنسانية باحثاً عن فرائسه المسكينة وضحاياه الأبرياء .

وللأسف الشديد فإن كثيرين من هؤلاء الذئاب البشرية ينجحون في تحقيق طموحاتهم غير المشروعة ، ويجسدون رغباتهم المحمومة واقعاً ملموساً دون أن يجدوا عقبة كأداء أمام اندفاعاتهم التدميرية هذه ، ومن هنا تبرز الحاجة الملحة للتصدي لهؤلاء المارقين على كل القيم العليا في المجتمع والمشوهين لوجه الوطن الجميل .

الشخصيات :

(حمدوا لحمصاني) زوج (عديلة الأقرع اشترى داراً بـ (الصالحية) بدمشق ثم يتزوج ثانية من نبال الدجاني)

(عزيز) بن (حمدو) البكر في الثلاثينات من عمره يحب الرياضة والثقافة والإبداع والتطوير والتحديث متزوج من د. (رضية) التي أنجبت له أربعة ذكور يصبحون أطباء فيما بعد .

(جميل) بن حمدو الحمصاني من زوجته الثانية (نبال) اتكالي مخنث ، عنيد، أناني ، يموت بمرض الايدز وهو شاب .

(دارين) أخت جميل ، طموحة، لعوب، فائقة الجمال ، مغامرة تصاب بالشلل جراء إصابتها بطلق ناري في ظهرها من قبل عشيقها رهوان الأزدي لأنها تركته وتزوجت غريمه الوزير (أبو رأفت الدلو مقابل شقة في باريس ومليون فرنك فرنسي باسمها في البنك.

(رضوان البلتاعي مثقف كبير ، ومفكر قدير .

(أدهم العنتبلي) شيخ وقور ، متنور الفكر، و حكيم في تدبير الأمور بروح عصرية .

-رشوان اللبدي يعبد المال وصاحب مطعم لبناني وشاذ جنسياً وهو السبب بموت (جميل) المبكر .

- (رهوان الأزدي عدواني شرس قمة في التناقضات ابن البادية القاسية ، صعب القيادة ، مهووس بالخمر والنساء ، ومع ذلك يقف ضد الفساد من خلال منصبه الكبير في الوزارة وهو نظيف اليد ، مخلص إلى حدّ التضحية يقوم بقتل الوزير أبو رأفت الدلو) رمز الفساد والاستغلال والإثراء غير المشروع لأنه تزوج من عشيقته (دارين) .

(أبو رأفت الدلو) متعهد التعيينات الذي يورد للبلد المواد المنتهية الصلاحية كالرز والشاي والسكر مقابل عمولات ضخمة فليحان العبيدات اعتمد في جني ثروته الطائلة على تهريب أغنام العواس عبر الحدود إلى دول الخليج فصار جراء ذلك من كبار الأغنياء والمتنفذين

الأفكار :

تحويل الدار التي يقطنها (عزيز) في حي الصالحية إلى مقهى تراثي كبير في حي دمشق القديم ، ليغدو قبلة للسياح والزوار والمثقفين وهو بذلك حافظ عليها من التداعي والسقوط .

تعرض دارين) للاغتصاب من قبل المهندس جمران العيسى فتقوم أمها (نبال) بستر الفضيحة

إعادة الاعتبار للكتاب كقيمة عليا في المجتمع ، وكحاضن أمين للفكر والثقافة ، والحض على اقتنائه ومطالعته والاستفادة من أفكاره ، مع التركيز على معظم كتب التراث المحلي والعالمي .

إن وضع الرجل المناسب في المكان غير المناسب، يخدم العدو ويخرب البلد

في غابة الحياة البقاء للأقوى ولمن يجيد فنون المراوغة والكذب ، أما الصادق الصريح الأمين فهو في المرتبة الثانية .

السيارات والثروات والمناصب من أهم عوامل تغير القلوب من الإخلاص إلى الخيانة

الحب يشفي النفوس المريضة ، ويطهرها من أدران الخطيئة والفساد والعفن الايديولوجي .

المستشفى الخيري الذي شيده (عزيز) وأبناؤه الأطباء الأربعة لمعالجة مرضى الحي بأسعار رمزية ومجانية أحياناً

المطالبة بتطبيق شعار من أين لك هذا؟ على كافة الفاسدين الذين ظهرت عليهم علائم الثراء فجأة دون استثناء لأن النقود تأبى إلا أن تطل برؤوسها .

الفاسدون هم الذئاب الحقيقيون ، وليس ذئاب البادية

ـ يجب قتل بعض الذئاب لإنقاذ القطيع من الفناء .

ـ بالوعي الراقي والعمل المخلص ، والخطط المحكمة والوفاء بالعهود ، والحفاظ على أمانات الشعب المال العام تجعل أحلام الذئاب الخسيسة أضغاث أحلام لا يمكن أن تتحقق ، بل تتحول إلى كوابيس مرعبة لا تبقي ولا تذر حيث تعود على أصحابها بالوبال والدمار .

ـ في التقنية الروائية :

هناك هاجسان كانا في تفكير الروائي وأسلوبه ، الأول هو الوصف الفياض الغزير الذي بدا دقيقاً ، مهتماً بأسرار الجسد الخارجية وبواطن النفس العاطفية ، وبحضور عقلي رصين ، يوجه الكلمات، ويختار نظامها ، محركاً المياة الراكدة في بحيرة الماضي ، فقد أنطق العواطف الخرساء التي تنزف حنيناً إلى تطلعاتها وأهدافها ، تجتر أحلامها المستحيلة وتراها أشهى من بعض الحقائق ، وبسبب ذلك لقيت مصرعها الروحي .

والثاني المنولوج الداخلي الذي شمل معظم أبطال الرواية حيث راحوا يتناقشون مع ذواتهم بالحق والباطل والحلال والحرام والمسموح والممنوع والهواية والاحتراف وفي هذه المنولوجات تفكير بصوت عال ثم فيها توظيف بارع وماهر للجمل المنسابة والكلمات اللؤلؤية والعبارات المضيئة بحيث تنسجم تماماً مع المواقف التي تصوّرها والأشخاص التي تنطق بها فلا يتحدث الأمي بصوت الفيلسوف ، وذلك بغية التوضيح والتحليل والتركيب والإسهاب والاستطراد مما يدل على نضج فني واضح ، وقدرة على ترصيع عباءة الرواية بخيوط الفضة والذهب لتبدو أجمل وأبدع بحياكة متقنة ، وكرم بلاغي ، ومهارة لافتة ، ومن وجهة نظري النقدية أعتقد أن هذه الرواية (أحلام الذئاب أجمل وأمتع روايات عبد الغني ملوك على الإطلاق .

الأفول الحزين في روايات عبد الغني ملوك

نزيه شاهين ضاحي

في معظم روايات الأديب (عبد الغنى ملوك يختار موضوعاً محبّباً للقلوب وهو (الحب) هذه القيمة الإنسانية الكبيرة ، حيث يطلعنا على ما حل به الآن من شروح عميقة ومتغيرات جوهرية ، بعد أن أطاحت برموزه السامية تحولات جذرية كاسحة جعلت من أبطاله التقليديين أمثال (قيس وليلى) و (عنترة وعبلة) و(روميو وجولييت) و (جميل بثينة) و (عطيل وديدمونة) وغيرهم جعلت منهم ملائكة تعيش مجبرة في الجحيم ، وفلكلوراً يكاد أن يكون منسياً ، ولا يذكر إلا على سبيل الفكاهة والتندر بعد أن جرفته أوحال الحضارة الحديثة .

ومن البديهي القول : إن النائحة المستأجرة ، ليست كالنائحة الثكلى ، والطفل الناتج عن الحب ليس كالطفل الناتج عن الواجب ، والدموع التي يذرفها المصاب بكارثة ، ليست كالدموع التي يذرفها مقشر البصل ، كذلك الحب في القرن الواحد والعشرين ليس كالحب في القرون التي سبقته ، فهو مجموع مشاعر وأحاسيس ، لا يستطيع أي مبضع أن يلج إلى هذه القيمة الإنسانية لتشريحها وسبر كوامنها ، وكشف الغازها ، فما نحبه اليوم نكرهه غداً ، وما نكرهه اليوم غداً ، فهي قيمية زئبقية يصعب الإمساك بها . نحبه

والشخصيات في معظم روايات الأديب (عبد الغني ملوك) لا تخرج عن دائرة هذا المفهوم الرومانسي ، حيث نصادف في ثنايا أحداثها أشخاصاً ، نضب نبع الحب في قلوبهم ، فتلوثت نفوسهم بعبادة إله جديد هو المال الحرام ، فأدى ذلك إلى نخر عظام المجتمع ، وتحلل العقد المانعة من الانفلات الأخلاقي ، وأفول نجوم الحق والخير والجمال من سماء المجتمع محمّلة بتلويحة الأيدي المتعبة والمناديل الحريرية المثقلة بالدموع بعد أن ملت من مقاومة سحب الشر والغدر والرذيلة والكره والعدوان ، حيث

أصبح الحبُّ تائهاً في غابة الحياة التي بدأت تحترق ويصدر عنها أننى مؤلم وهو محاصر الآن بين النيران ولا منقذ له .

وفى الضفة الأخرى ، نصادف اشخاصاً ايجابيين ، حافظوا على نقائهم الروحي ونفخوا في جمرات الفرح والأمل والتفاؤل التي شارفت على الانطفاء ، فأعادوا لها التوهج والألق والبريق ، وأعطوا ليتيم الحب أماً جديدة أحن عليه من أمه الحقيقية ويتجلى هذا في مشروع تبشيري إنساني يعمل عليه الروائي (عبد الغني ملوك) في معظم رواياته من أجل إبقاء مشاعل الحب متقدة ، تنير درب المحبين ، ويشير إلى أن هؤلاء الناس السلبيين قد خفت عقولهم فارتفعوا في تقدير الزمان إلى قمم لا يستحقونها فوق سطح الماء ، فيما انحدرت عقول الناس الإيجابيين إلى أعماق اللجة كما تنحدر اللآلئ والجواهر الثمينة فتم لذلك رجمهم ولكن بأحجار كريمة .

فما هي يا ترى الفروقات بين حب الأجداد وحبنا الآن من وجهة نظر المؤلف ؟ فهو يرى أن الحب صدفة فيها لؤلؤة ثمينة ، ولكن الصدفة لا تكسر على وسادة طرية أو ناعمة

بل تتحطم على صخرة التضحية والبذل والعطاء كما فعل الأجداد مع محبوباتهم ، فذرفوا الدموع السخينة فتقرحت جفونهم ، وانهد حيلهم ، ومنهم من وصل إلى مرحلة من الجنون بعد أن حرمه الآخرون من نصفه الثاني ، وعانوا من السخرية الصفراء ، والاستهزاء الناقم ، وكانت الدموع التي تجللهم كالدماء التي تضرج الشهداء

أما الحب في وقتنا المعاصر ومن وجهة نظر الروائي عبد الغني ملوك أيضاً هو حب مفترس ، ووحش جميل وعسل مر ، وسباحة عبثية في التراب ، ووزارة سيادية للألم ، وتجسيد لجهد ضائع ، وإحباط مطلق لجذور تحاول عبثاً أن تضرب في الصخور ، وكل ذلك بسبب طغيان المادة ، وارتفاع مد الجشع والطمع ، والرغبة في الوصول السريع إلى المناصب العالية دون التجديف المخلص في بحر الحياة ، مع أن هذه الرغبة الجامحة ، أبعدته عن شطان الحقيقة والثوابت الإنسانية ، ويعترف بوجود استثناءات ولكن لا يعتد بها بسبب ندرتها

يلح الروائي (عبد الغني ملوك في كل رواياته على أن الحب عاطفة نقية ، يُذكر أصحابها بالإجلال لهم والتعاطف معهم والأسى لمصيرهم ، وهو غير مرادف للعلاقة الجسدية وليست جزءاً من مفهومه أو ضرورة من ضروراته ، لذلك ظلّ الحب على قدر من الصفاء ، ولم يهبط إلى درجة من الإسفاف وإن لم يرتفع به إلى التهويم والمثالية ، وظل في إطار الواقع الذي يحاول أن يرتقي بالذوق والخلق إلى مرتبة الكرامة الإنسانية التي لا تقدر بثمن .

وقد ظل الحب موضوعاً بعيداً عن الجدية ، وظل الخوض فيه بحاجة إلى اعتذار ، فلم يكن شعوراً إلهياً عند عامة

الناس بل نزوة أو ضعفاً في النفس ، يتبرأ منه الأقوياء ويخجل منه الضعفاء ، ويتحاشى الحديث فيه العلماء ، ويتركونه للشعراء فإذا تسلل أحد من أصحاب الجد إليه ، كان لابد أن يقدم معاذير وذرائع غير مقنعة ، لأنه نزل عن /////// الوقار إلى حضيض الهزل ، وهناك الحب المفترس الذي يصيب المحب بالجنون أولاً وبالانتحار ثانياً.

إن العشاق وشهداء الحب وشعراءه هم صنف آخر من الناس ، يمتاز بصفات نفسية وعقلية وعضوية مميزة لكن الطابع القصصي الخرافي الذي ينظر إلى الحب كعاطفة غامضة ، غريبة الأطوار مستعصية على الفهم ، وهو بلاء يصيب أصحاب القلوب الشفيفة أو العقول المصابة بالذكاء المفرط ذي الطابع الانحرافي ، فهو إذن عاطفة كريمة هي جزء من صحة النفس والبدن والذوق والخلق والإيمان والديمومة والبقاء .

في روايات (عبد الغني ملوك وجدنا أن الحب يعني تصوّر عاطفة المحب بمعزل عن المحبوب ذاته ، فليس الحب شركة بين طرفين ، يضحيان في سبيل غاية واحدة هي سعادة كل منهما بوجوده مع الآخر، بل هو موقف فكري فردي ، ينبغي على المحب الصادق التزامه بصرف النظر عن موقف الطرف الآخر ، وأول آداب الحب الحقيقي

العفة ، أما الذي يقوم حبه على جاذبية الجسد فقط يكتشف أمره ، وتعثر قدمه ويزل لسانه ، ويضطرب جنانه، فيتساقط الطلاء الزائف وتبدو المخالب الدامية تحت قفازات الحرير ، وهو لا يزال في الخطوة الأولى في علاقته العاطفية ، لأن للحب آداب مقررة وتقاليد صارمة .

ملامح الرواية المستقبلية عند (عبد الغني ملوك)

نزيه شاهين ضاحي

إن الرواية الشريعة الحديثة من الممكن أن تلائم حياتنا المعاصرة التي تتسم بالسرعة الفائقة ، والإيقاعات المتتالية، والتكثيف التراكمي والتجريد الرقمي والواقع التفاعلي ، وأشعة (إكس) الأسرار ، والمعيار الذاتي للحوادث ، فهي نتوءات ذواتنا الداخلية ، وإسقاط لعالمنا الجواني على المجتمع العام .

وقد تراوحت بين الروايات المنافقة المهدئة التي تسترضي الحياة وتهدهدها ، وتخفي عيوبها ، وتحول الجحيم إلى نعيم زائف ، ولا تهيئ لصدمات الواقع الجارحة ، والروايات التي أصبحت بحد ذاتها أعمالاً انتقامية واغتيالية محدثة تصدعات مدمرة أكثر من الحياة نفسها ، فهي إما محنطة أو متجلدة ، وتتسم بالتملص من الصراع الوجودي الطبقي الجوهري وبالاحتيال المرفوض على الواقع .

يجب أن يفطم القراء عن رضاعة الروايات العظيمة لأنها ضخمة الحجم ، فيها حشد كبير من الناس ، هائلة عددياً وجغرافياً ، شاملة تاريخياً ، كالملاحم القديمة في ثوب عصري جديد ، يستغنى فيه عن الخيول والفرسان والدروع والسيوف والآلهة ، وتجف فيها أنهار الدمار ، لتسيل أنهار الدموع ، ولغة الآي .. أي .. والنماذج البشرية الحية ،

وأن ما يحدد طول صفحات الرواية هو الحدث الذي يعالجه مع الأخذ بعين الاعتبار كيفية تلك المعالجة ومدى المهارة المبذولة فيها .

إن وظيفة رواية المستقبل عند الروائي (عبد الغني ملوك) يجب أن تعبر عما لا نستطيع أن نعبر عنه وتساعدنا على الخروج من سجن اللجلجة ، واختراق حواجز الصمت ، وأن تتحدّث كما نشعر وكما نرى والكتابة المغامرة هي نتيجة حتمية لعصرنا الحالي ، حيث رفعت السرية عن كافة وثائق والسجلات ، وحتى تكون الرواية واقعية ، يجب أن تكون عنيفة ، فجَةً ، بعيدة عن النهايات المصطنعة التي تستدر دموع الفرح بافتعال نهايات سعيدة ودموع الحزن بافتعال نهايات حزينة ، وأن لا تكون مخزناً تجارياً مزدحماً بالبضائع الكاسدة .

على رواني المستقبل أن يكون كاتب يوميات ، ومقياس ضغط مجتمعي ، وعقرب ساعة متحركة ، وميزان حرارة الناس ، ومسباراً لكشف قاع المدينة ، ومخبراً موثوقاً ويجب أن لا يراه أحد مع أنه يملأ السهل والوادي والجبل ويستمر بالكتابة دون انتظار الإلهام أو المناخ المناسب ، وأبراج النجوم ، واعتدال المزاج ، ومقولة التخمر والتخزين ، وأن يسلك كل طريق يصل به إلى قمة الجبل ، رواية المستقبل عارية الصدر ، غير مزينة غير محجوبة ، صلعاء بدون شعر مستعار ولا معطف واق من الأمطار.

عنوان الكتاب :(بنية الرواية وتقنيات السرد عند الروائي عبد الغني ملوك)

المؤلفة : (الدكتورة سحاب شاهين)

عرض وتحليل : نزيه شاهين ضاحي

في تقديري إنّه يجب أن يكون العمل الأدبي (يدوي الصنع) تشارك فيه المشاعر والعواطف والأحاسيس والتجارب العميقة والأعصاب المسترخية ، وليس عملاً ميكانيكياً يفتقد إلى الإحساس الإنساني والشعور العاطفي حتى يولد مخلوقاً جميلاً متكاملاً خالياً من النقص أو التشويه ، ومن هذا المنطلق نرى أنه آن الأوان لأن نضع روايات الروائي عبد الغني ملوك في ميزان النقد الأدبي الموضوعي من ناحيتي الشكل والمضمون بعد أن بلغت رواياته ثمان روايات .

وفي هذا السياق يأتي كتاب الدكتورة (سحاب شاهين) وهو بعنوان (بنية الرواية وتقنيات السرد عند الروائي عبد الغني ملوك (وقد تناول الكتاب الثلاثية بأجزائها الثلاثة : 1- مجامر الروث -- في قبو الدير ٣- الحب في زمن التحولات بالإضافة إلى رواية (السوسن البري) ورواية (أحلام الذئاب) مستهدفاً البنية الفنية لروايات الأديب المتداولة حالياً

و تناولت بحوث الكتاب دراسة مستفيضة للزمان والمكان والشخصية بنيوياً في الثلاثية ، ودراسة اللغة والسرد في السوسن البري ودراسة الحدث في (أحلام الذئاب) وفق المنهج البنيوي في النقد الذي يسلط الضوء على النص فقط منقطعاً عن أية مرجعية

أخرى ، حيث قدمت الدراسة تحليلاً جيداً للنصوص الروائية بوصف النص الروائي كياناً منغلقاً على نفسه له زمانه ومكانه وأحداثه وشخصياته التي تبنيها اللغة بوصفها أداة تخيلية تقدم عملاً قائماً بذاته ونصاً مكيفاً بقوانينه ولا تربطه بالمرجعيات الخارجية ، وقد قدمت المؤلفة تعريفاً أكاديمياً للمدرسة البنيوية في النقد الأدبي بقولها : (إن البنيوية منهجية واضحة ونشاط إبداعي وقراءة مفيدة وتصور فلسفي ، يقصي الخارج والتاريخ والإنسان ، وكل ما هو مرجعي وواقعي ، ويركز على الظروف السياقية الخارجية التي تكون أفرزت هذا النص .

في الفصل الأول من الكتاب وتحت عنوان (المكان) تبين المؤلفة طريقة الكاتب في بناء المكان في النص وذلك من خلال الإشارات ، وتخيّر العناصر التي تشكل المكان فتدل على الانتماء الطبقي لساكنيه والانتماء العصري والبعد الحضاري للشخصيات ، ومن خلال الإشارات الجغرافية حيث يجسد الكاتب البعد الإيديولوجي للمكان من خلال استعماله وتوظيفه وإدراك دوره في بنية النص ، ثم يعمد إلى التفريق بين المكان الحقيقي والمكان الروائي .

فالمكان الحقيقي خارجي محسوس والثاني لفظي تضعه اللغة لحاجات التخييل ، وأهدافه الفنية ، ثم تبين أهمية المكان في الروايات بوصفه يشكل عنصر إثارة للمشاعر المختلفة تجاه المكان من قلق وخوف وأمان وراحة وغيرها ، وفي بناء المكان في الثلاثية ، رأت المؤلفة أن الثلاثية قدمت صورة المكان من خلال الوصف الذي لم يقتصر على الأغراض التزيينية بل اهتم بالوظيفة التفسيرية للوصف ، واعتباره مكوناً رئيسياً من مكونات الرواية ، وباعتبار الوصف مدخلاً لبث الحياة في النص وبيان أثره في الأحداث والشخصيات ، حيث كان وصف المكان تمهيداً لاختراق موضوعي له ، هذا الاختراق الذي يحدد العلاقات المتبادلة بين الأفراد والأمكنة التي عاشت فيها ، لأن الوصف هو وسيلة الروائي لتصوير المكان وبيان جزئياته وأبعاده ، وتعدد الأمكنة سوف يفسح المجال لتقديم وصف غني متنوع يؤدي دلالة ضمن الحكي .

ثم تنتقل المؤلفة لرصد الزمان من خلال تعريف أكاديمي له فهو امتداد موهوم يصعب تحديد ماهيته وطبيعته و مفهومه وكل مفكر أو عالم أو فيلسوف يتعامل معه من منطلق مذهبه أو تصوره أو فلسفته ، لأن الزمان من أهم مكونات النص الروائي ، وضابط

إيقاعه وعنصر أساسي في بنائه وهو فيه تخييلي ، لأن الرواية عبارة عن تصوّر خيالي لإنشاء عالم جديد بوساطة اللغة ، وليست إعادة إنتاج العالم أو أشخاص وجدوا في زمن سابق ، فالزمان في الرواية داخلي يبتدعه الروائي ليخلق دوافع محركة للسرد من سببية وتتابع أحداث وتشويق وإيقاع واستمرار ولا علاقة له بالزمان الخارجي ، وإن بدا أنه يتطابق معه لكنه أداة يبتدعها الروائي ليوهم بواقعية روايته ، وبعد تحليل معمق ، تصل المؤلفة إلى نتيجة هامة جداً مفادها أن الزمن حركة أحادية البعد ، تتجه إلى الأمام من غير توقف أو عودة إلى الوراء ، وجعلت لوجود الإنسان معنى حين نبات (الثلاثية) حصراً بحياة أبدية أخرى غير متناهية ،

فأصبح الزمان مخلوقاً مطلقاً ، يتدفق من تلقاء نفسه ، ولم يبق مقيداً بدوران الفصول ، ومتحكماً بحياة الإنسان فيه ، فأكدوا الوجود الخالد الأبدي بعد الموت كما معروف

وضمن المنهج البنيوي في النقد ، تنتقل المؤلفة للحديث عن الشخصيات في (الثلاثية) فترى أنها تبنى على شخصية محورية أساسية رئيسية تدور حولها الأحداث الأساسية وترفدها مجموعة شخصيات ثانوية وهامشية ، وما يقدم من شخصيات فيها ، فإنها شخصيات على علاقة بهذه الشخصية أو بعض من يدورون في فلكها ، وما يأتي من أحداث ثانوية تتعلق ببعض الشخصيات ، فإنما يأتي ليكمل صورة الشخصيات المحيطة بالشخصية المحورية علماً بأن هناك عدداً من الشخصيات الرئيسية إلى جانب عدد من الشخصيات الثانوية وعدد من الشخصيات الهامشية التي لها جميعها أدوار رئيسية في بناء النص الروائي في هذه الثلاثية أو التي تكمل الشخصية المحورية

ومن هذه الشخصيات ياسر الخوخة) و (سارين الأرجواني) و(جبور القناقي) و(جويل الناصوري) و مدام جورجيت) و الشيخ حامد الأغبر) والأب (أنطون النهري) و (عبد الله الطرابلسي) و (أبو أرز) و (مزيد الخشن وغيرهم ، أما الشخصيات الثانوية فمنهم (أبو الحارث) و (زهير) و (هواش) و (برهان) و (كفاح) و (ثائر) و أنطون شركس وغيرهم .

أما الشخصيات الهامشية فمنهم (صابر البداوي) والطبيب (ساكو) و (حسين) الألبنضا) وقد قدم المؤلف استراحات وصفية عديدة ، كانت بمنزلة لقطات تصويرية تصف الشخصيات وهيئتها ، وأحياناً شيئاً من سلوكها وتصرفاتها ضمن إطار الوصف التزييني الذي هو صنعة جمالية ، تتعدى كونها صورة جميلة دقيقة منمقة للحسن أو القبحتبين الصفات الظاهرة الخارجية وقليلاً ما تغوص في أعماق النفس ، وأما عن علاقة الاسم الشخصي والدلالة

العلاماتية ، فترى المؤلفة أن من الصعب إيجاد ترابط بين الاسم الشخصي والواقع التخييلي للشخصية ، والكاتب ينتقي أسماءه عشوائياً من دون الربط بين واقع الشخصية وأعمالها وسلوكها وبين تسميتها ، فمنها من سمي بيدق الشيطان لكثرة شروره ، ومنها ما سمي برسول الملائكة الطاهرين لكثرة فضائله الخيرة .

ثم تنتقل المؤلفة إلى الحديث عن اللغة في رواية (السوسن البري فترى أن الروائي (عبد الغني ملوك يقدم رؤيته للأحداث والشخصيات وأفعالها وأقوالها عبر ضمير المتكلم وتفرعاته حين يروي عن نفسه ، وعبر ضمير

الغائب حين يروي عن الآخرين ، فتصطبغ اللغة بشخصية بطل الرواية وتطبع بطابعه ، فتبدو لغة فصحى متوسطة بسيطة ، سهلة خالية من التقعر أو الغموض ، وفيها أثر للإيديولوجيا مع بعض الصور الموحية أحياناً ، وتقترب من لغة المثقفين في حياتهم العادية ، ولا تصل اللغة إلى

حد الشاعرية المصطنعة التي تجعل اللغة غائبة مستقلة عن العلاقات السردية ، لتنتزع دور البطولة ، فتبعد الرواية عن خواصها النوعية ، وتجعلها أقرب إلى العمل الشعري ولغة الروائي طيعة خالية من الصنعة والتصنع ، وتتسم بالعفوية ، وتحافظ على الصفات النوعية كلغة للرواية .

ثم تنتقل المؤلفة إلى مفصل هام في الكتاب يدور حول (السرد) في رواية (السوسن البري والمقصود بالسرد هنا العرض الموجه لمجموعة من الأحداث والشخصيات المتخيلة بوساطة اللغة المكتوبة ويتناول الضميران (أنا) و (هو) في سرد الرواية من وجهة نظر الروائي الممثل الذي هو الشخصية الأساسية في الرواية (صطام الخصينجي) وهناك عدة حوافز للسرد في هذه الرواية ، تدفعه إلى الأمام وتسوّغ حركة الحوادث ، وهذه الحوافز هي الطبقة الاجتماعية ، الدراسة ، الحب والصدمة العمل والأخلاق الحلال والحرام .

وفي الرواية سرد وحوار يتناوبان حسب سيرورة الحكي ، فالحوار خطاب مباشر أما السرد فهو خطاب مباشر حيث تتحدث الشخصية عن نفسها ، وغير مباشر حيث تتحدث عن غيرها ، بالإضافة إلى الراوي الأول أي المؤلف نفسه، والراوي الثاني أي الشخصية المحورية في الرواية.

بعد ذلك يدور الحديث عن (الحدث) في رواية (أحلام الذئاب وتقر فيه المؤلفة بقولها : هو مجمل الأحداث والأمور التي تقع في الرواية حيث يقدم النص الروائي عن طريق ضمير الغائب ، ليحكي حكاية عائلة (حمود الحمصاني) في امتداد زمني استغرق أجيالاً ، وتأتي الحكاية متراوحة بين السرد والحوار والوصف ، وذلك لخدمة الحدث الحرب اللبنانية الأهلية الذي يبدو أقرب إلى الواقعية ، وإن كان من صنع خيال الروائي ، ويتصف بأنه اجتماعي سياسي ذو طابع اقليمي واسع .

(الحرية الفكرية في روايات عبد الغني ملوك)

نزيه شاهين ضاحي

القائد المؤسس حافظ الأسد رحمه الله ، أضاء الطريق أمام الأدباء والمفكرين والباحثين عندما قال : (لا رقابة على الفكر سوى رقابة الضمير) .

كما أعلى من شأن الثقافة عندما قال : الثقافة هي الحاجة الأعلى للبشرية جمعاء ، لأن كل حاجات المرء لها حدود ماعدا حاجة الثقافة فهي بلا حدود .

والروائي عبد الغني ملوك ترسم خطا القائد فانطلق في روايته متحرراً من قيود الرقابة بشكل واع ومدروس فما هي ملامح هذه الحرية؟

هناك رابط حقيقي بين الأدب والحرية ، والأدب جميل بمقدار ما هو حرّ، لكن الحرية الأدبية ليست انعدام القيود

بأنواعها فنية ، اجتماعية سياسية بل هي وجود الروابط التي يعانيها الأدب، ثم يسعى للتحرر الموضوعي منها ، فلابد إذن من وجود بعض القيود الحريرية التي يصارعها الأدب، وبدونها تصير الحرية إلى فوضى مخربة وتهريج فاضح، وثرثرة فارغة مهما كانت قوالبها الفنية متقنة ومدروسة فهي عبث أطفال لا طائل منه .

والحرية بهذا المفهوم الناضج في إعادة النظام لحركة المرور في كافة ميادين الحياة الأدبية التي هي انعكاس جدلي للحياة في الواقع المعيش فعلاً ، والأديب لا يتصيد القيود تصيّداً ، ويتعمد اختلاق العقبات ليدلل على مقدرته على اجتيازها ، بل يسعى إلى بلوغ قمم رفيعة على الصعيد الفكري والجمالي والعاطفي ، وإلا انزلق إلى الدخول في سيرك استعراضي فيه من البلهوانيا اللغوية واستعراض العضلات الفكرية أكثر بكثير مما فيه من تقنيات الأدب الحقيقي ، شأنه في ذلك شأن راقصة الباليه

التي تقف على أطراف أصابعها لساعات دون أي شعور بالتعب بعكس ممارسة الرقص الشرقي وهز البطن التي تنهك الجسم وقد تسبب المرض .

الأدب الحر يجب أن يثبت مقدرته على مصارعة القيود والوصول إلى الحرية التي تمتع ذوقنا بالجمال المساوي للحرية حتى نحتفل بيوم التحرير من الأغلال التي تذكرنا بالعبيد أما ما ينهال على آذاننا من مد طاغ من الهذر الغث الذي تنظمه وحدة ولا تضبطه فكرة منسجمة ، ولا تضم شمله عاطفة متجانسة قائمة على الانسجام الدقيق بين المضمون والأداء ، فهو سقوط واضح في هوة الابتذال والتعقيد والغموض ، ومن ثم التهوس ، أي الإفراط في الحماسة الناشئ عن الاقتناع الحار العميق بصدق القضية التي يؤمن بها المتهوس إلى حدّ متهور قد يدفع الكاتب إلى الشطط عن الطريق السوي لخدمة قضيته أو اثبات صحتها.

وفي رواية (أحلام الذئاب) نجد الذئاب البشرية تلتهم بنهم خرفان الفرح، وتحصد بمنجل الجشع سنابل الخير فما كان من الروائي إلا أن يتصدى لممارساتهم ، فهو لا يكتفي بإدانتهم ، بل يدين أيضاً بعض الأحزاب الحاكمة التي أتاحت لهم ممارسة هذا الفلتان اللا أخلاقي بحق الوطن والمواطن .

من جماليات السرد الفني في قصص مرايا النهر للروائي عبد الغني ملوك

بقلم الأستاذ : عيسى اسماعيل

القصة القصيرة ، هذا الفن الأدبي الحديث ، له حضوره في المشهد الثقافي ، فالقصة تعبير مثير عن حدث ما ، له أبعاده وأسبابه، وفيه العبرة والاعتبار ، وثمة مجموعات قصصية لها جاذبيتها من حيث الأسلوب والأفكار فهي بذلك تحقق للقارئ المتعة والفائدة .

والكلام السابق ينطبق على مجموعة (مرايا النهر) للأديب القاص الروائي (عبد الغني ملوك فمن هو الأديب (ملوك) الذي يحضر بقوة في المشهد الأدبي الحمصي على وجه الخصوص ، والسوري بشكل عام ؟! ...

/ عبد الغني ملوك محام من مدينة / حمص / ولد فيها عام / ١٩٤٤ / وهو ضابط سابق في الجيش العربي السوري يقول إنه بدأ الكتابة عام / ١٩٦٤/ في مجال القصة القصيرة وبدأ كتابة الرواية عام ٢٠٠٨ لكنه بدأ النشر عام /٢٠١٥ فظهرت له مجموعة قصصية وسبع روايات يقارب عدد صفحاتها الألفين والخمسمائة صفحة .

في مرايا النهر / نقرأ عشرين قصة قصيرة، نبدأ بقراءة القصة الأولى ، فتأسرنا العبارات والأحداث ، ونجد أنفسنا نتابع القراءة حتى نهاية القصة العشرين ، والسبب هو هذا السرد الجميل ، وتلك اللغة الشفافة وذلك التصوير للحدث بتفاصيله المدهشة ووصف الشخصيات والأماكن بأسلوب يحاكي الواقع الذي نعيشه

إنها قصص تصويرية تعبيرية ، واقعية ، تستمد مادتها من الحياة الاجتماعية للناس تحمل نشوة الماضي ودهشة

الحاضر ، وتعيد التذكير بقيم وسلوكيات تراثية أغفلناها أو اغفلنا بعضاً منها .

والسرد كما هو معلوم العمود الفقري للفن القصصي والروائي وتقنيات السرد متنوعة ، ولعلنا نستعرض هنا بعض تقنيات السرد الهامة في قصص / مرايا النهر / مثل تقنية المقدمة التعريفية للقصة والمفارقة والإدهاش وتقنية القصة داخل القصة ، وهذه التقنيات الثلاث لها دورها الأسلوبي والفكري في هذه القصص .

المقدمة التعريفية :

تجري أحداث القصص جميعها في / حمص / مدينة الأديب المؤلف ، وأغلبها في حي الزاوية القديم وحمص القديمة كما هو معروف فيها حضور للتاريخ والتراث والأصالة فهذه البيئة مهد لحكايات التراث ، حيث نوادر وقصص السيرة الذاتية لأشخاص تميزوا لسبب أو لآخر ومن هنا تأتي قصص الأديب / ملوك / لتروي هذه السير من خلال

سرد قصصي شائق وممتع ، وتتخذ كل منها عنواناً هو اسم بطلها فتقرأ عناوين مثل (عنايات العطاس ، عادل العطاس ، رغدان العطاس ، حمود الهيج ، نادر الألفي) يمهد الأديب الوقائع كل قصة بمقدمة تعريفية مباشرة وقصيرة ، تدخلنا في عمق القصة ، وهذه المقدمة بصيغة المتكلم أو بصيغة الغائب وبكلمات من صميم الحياة اليومية، مما يكسب المقدمة واقعية ومصداقية لدى القارئ. تبدأ قصة (عنايات العطاس) على سبيل المثال بهذه كنا نسكن حي الزاوية بحمص ... بيوت عربية مسورة بجدر عالية منفتحة من الداخل على صحن الدار .. كانت (عنايات) تكبرني خمس سنوات أو أكثر .

وتبدأ قصة (عادل العطاس) كما يلي :

هو اخو (عنايات) ابن (تفيدة) كان جاري وزميلي في المدرسة الإعدادية ، كان يحب الصيد وعنده بندقية ((1) ص ١٢ .

مثل هذه الافتتاحيات) تمهد للحدث ، وتثير القارئ المعرفة المزيد عن الشخصية في سرد عفوي ، مما يجذب القارئ، ويجعله يتساءل وماذا بعد ؟) .

(عنايات) وحيدة لم تتزوج .

(عادل) ينتحر ببندقية صيد .

(رغدان) يترك الطب، ويهرب مع عشيقته زوجة جاره سعيد .

فالقاص يروي قصصاً بصيغة المتكلم عن أبناء حارته أو ينقل عن لسان أحد ما ، مثلما نقرأ في مقدمة قصة (هزيم البيوري) كان (هزيم البيوري بليداً ، محدود الذكاء شكا منه مدرسوه في كافة المراحل (...) ص ٢٢٨ . فالراوي هنا شاهد عيان ، أو ناقل للحدث عن مصدر موثوق ، وهذا يعطي المسرود القصصي مصداقية وحرارة وواقعية مؤثرة في ذهن القارئ .

فالدلالات التي استدعاها مسرود القص مثيرة لانتباه القارئ ، مما يجعله يتابع الحدث المتصاعد ليصل إلى النهاية لتأخذ قصة (أبو أحمد الزبال) ص(٣٥) يعرف عن نفسه

مفتتحاً القصة بالقول : أنا موظف في البلدية . التمس منك العمل على فرزي إلى فرع الأمن .... نال إعجاب رؤسائه ... أهلاً بالزعيم أبي أحمد .... مثل هذه الإشارات الافتتاحية ، تمهد للحدث الأهم ، وتجذب القارئ لمعرفة ماذا سيحصل مع أبي أحمد فالإشارات الافتتاحية في القصة موظفة توظيفاً بارعاً لتشد انتباه القارئ ، يعطي

معلومات أولية عن بطل القصة مما يشعر القارئ أن المخفي أعظم ، فيتابع القراءة بشغف .

المفارقة والإدهاش في مرايا النهر :

هو ابن خالة (عنايات) وزميل دراسة، وصديق مخلص فيما بعد، وهو متفوّق ، ويريد دراسة الرياضيات والفيزياء والكيمياء في جامعة دمشق ، أما الماجستير والدكتوراه ففي أمريكا... وعندما يعود حاملاً الدكتوراه بالطاقة النووية من أمريكا ، لا يجدون له عملاً ، ويعرض شهادته ومشروعه لإحداث مركز دراسات وأبحاث نووي على عدد من الوزراء وعلى رئيس الوزراء ولكن دون جدوى ... فيعين في وزارة الزراعة

المقدمة هنا لا توصل إلى النتيجة المناسبة ، وهذا التضاد بين الموجب : المتفوق) و (السالب الإهمال واللامبالاة من قبل الحكومة (يشكل مفارقة مدهشة ، وهذا الإدهاش ،

يظهر عندما يعود (فلة) إلى أمريكا فيرحبون به قائلين الأتون إلينا أمثالك سبب قوتنا وسيطرتنا على العالم...)

فالمفارقة أو التضاد تنتج إدهاشاً في النهاية لأن النهاية هنا وفي الكثير من القصص قد لا تكون تحصيل حاصل لما سبق .

فالإدهاش قد يكون ناجماً عن حدث سلبي أو إيجابي ، والنهاية قد تكون مفرحة أو محزنة فالدهشة ممزوجة بالحزن أو الفرح ، ومثل هذا الإدهاش الممزوج بالأسى والاستنكار عند القارئ ، نراه في قصة / نادر الألفي حيث يرفض / أبو ابراهيم / بيع أرضه على الرغم من ضغوطات السماسرة وابنه / ابراهيم والنهاية يموت / أبو ابراهيم بعد شهر من اعتداء عليه بالضرب المبرح من قبل مجهولين ، وبعد أن يوارى في الثرى ، يبيع / ابراهيم الأرض .. !! وهذه النهاية المدهشة تثير التساؤل هل لابن

المغدور علاقة بالجريمة أم السماسرة بالتواطؤ مع ابن الضحية . والإدهاش فى مثل هذه النهاية المفتوحة للقصة دون بيان هوية المتأمر تثير القارئ وتجعله يفكر في الأمر.

والإدهاش في قصة غزوان الجنط) (١) حيث يتزوج الدكتور (زياد) المعلمة (ربا) الجنط دون أن يكون بذهنه هذا الأمر ، فهي جارته ، وكان يدرسها في المنزل ولم يفكر بها ، بل كان يرثي لحالها وحال أسرتها الفقيرة ، ومثل هذه الدهشة هنا ممزوجة بالفرح والموافقة لدى القارئ .

ولا يفوتنا أن نذكر أن الإدهاش هو صيغة المبالغة من الدهشة ، مثل هذا الإدهاش وتلك المفارقة تعطي للسرد وهجاً وتألقاً ، وتحرّك الحدث القصصي أفقياً وعمودياً ، حيث ثمة تضاد أحياناً بين ما كان وما هو كائن ، وبين ما هو كائن وما سيكون أي بين حدث مضى ونتيجته الآن ، وبين ما يحدث الآن وما سيحدث في المستقبل .

من تقنيات القص التي نراها في هذه القصص مرايا النهر / تقنية القصة داخل القصة فالقصة الأساسية تحوي قصصاً ثانوية ، تخدم القصة الرئيسية / وهذه تقنية بارعة ومشوقة، لا يجيد توظيفها إلا القاص البارع ، لأنها تحتاج إلى شغل وجهد .

لنأخذ قصة / نادر الألفي / (١) فالقصة الرئيسية هي : / نادر يهاجر إلى سويسرا لكنه يحب سورية ، ومتعلق بها، ويأتي لزيارتها دائماً / أما القصص الثانوية ، فهي زيارة نادر إلى جبال حمص الغربية ، أبو ابراهيم يرفض بيع الأرض ، الاعتداء من قبل مجهولين على أبي ابراهيم ، بيع الأرض بعد موت صاحبها أبي ابراهيم إن تشبيك الأحداث الفرعية / القصص الفرعية بالحدث الأكبر القصة الرئيسية يخدم القصة أسلوباً وفكراً لقد نجحالأديب / عبد الغني ملوك في التعبير عن المضمون الاجتماعي الذي ينبع من الواقع السياسي والاقتصادي ، وخاصة في تشريحه للواقع الاجتماعي بأناسه الأثرياء والفقراء على حد سواء .

وذلك في قالب سردي فيه انسجام للشكل مع المضمون في جمالية لغوية وقصصية ، تولد شعوراً بالمتعة والمشاركة من قبل القارئ فالأحداث لا تنمو وتتراكم ، لتحقق موضوعاً واحداً ، وإنما ترتصف واحداً إلى جانب الآخر ، لتكون مرأة ، تعرض حياة المجتمع ، ومن هنا يكون العنوان / مرايا النهر / يبعث الأديب / ملوك / فينا روحالتراث مليئاً بالإيماءات والصور ، بصيغة سردية متقنة ، تنقل صورة العالم بأكمله المكان والأشخاص والأشياء حيث الأحداث العاطفية والاجتماعية ، تستحق أن تخلدها

القصص ، وهنا تكمن براعة الأديب فى اختيار الأحداث والشخصيات ..

عن مؤلفات الروائي / عبد الغني ملوك / دراسة ونقد

بقلم الدكتور (عيسى أسعد)

الروائي / عبد الغني ملوك يتمتع بفرادة مميزة ، قل نظيرها ، قرأت رواياته الثماني كلها ، وأعجبت أكثر ما أعجبت بثلاثيته مجامر الروث وتتألف من ثلاث روايات في أكثر من / ٧٠٠ / صفحة ، تشكل ملحمة في تاريخ الرواية المعاصرة ، وهي مجامر الروث و في قبو الدير /و الحب في زمن التحولات المدهشة . أما بقية رواياته وخاصة / السوسن البري/ و / أحلام الذئاب ومرايا النهر/فهي وصف حي وجريء لواقع يسعى الكاتب لإعادة هيكلته وفق منظوره الفائق التقدم ، إنه فريد في كتابته ، فريد في أفكاره ، فريد في أسلوبه الواقعي والسهل الممتنع.

إن الكاتب / ملوك مرهف الاحساس ، مثير للدهشة محرك للأفكار والأحاسيس ، وهذه الفرادة المعطرة والفائقة الروعة هي من أهم المزايا التي تتصف بها رواياته، حيث يتماهى حب الوطن مع كل ما هو إنساني إنه يسعى حديثاً وحثيثاً إلى تلمس كبرياء الإنسان السوري العظيم الذي دائماً ، ينبت من رماده ، ويسعى إلى كبريائه رغم كل الأزمات والمحن .

والحب الذي عنده دائماً إمكانية الإصلاح ، والرجوع مهما تمادى الفرد في الخطأ والخطيئة ، فهو يفتح باب الأمل الذي لا حدود له ، يكره الظلم ، ويدافع عن المظلومين ، ويؤرخ لحقبة دامية من تاريخ هذه المنطقة لذلك فإن ثلاثية مجامر الروث التي قيل عنها : إنها ملحمة في تاريخ هذه المنطقة هي حقيقة ، ومقولة صحيحة، والذي يقرأها من أولها إلى آخرها ، يدرك ذلك ، إنه يسعى إلى الحداثة ، ويعري ما لحق بالتراث من زيفٍ، مرجحاً العقل على النقل ساعياً إلى الحكمة الأبدية في شخوصه ، يتبدى بشكل

جلي الإنسان السوري الذي يسعى إلى إعادة دوره في التاريخ الذي بدأ منذ عشرة آلاف سنة.

إن روايات الكاتب / عبد الغني ملوك جديرة بالقراءة والدراسة في عالم الرواية السورية ، بل والعربية .

نظرة في الجانب التربوي لرواية (أحلام الذئاب) للأستاذ (عبد الغني ملوك)

بقلم (فهمي الكيال)

نبدأ من العنوان الرمزي الذي شحن به المؤلف القارئ بتخيلات واسعة، قريبة المأخذ ، ومن البديهي أن الروائي يقصد بهذه الذئاب البشرية لا ذئاب الغابة ، ومن المعروف أن الذئب حيوان مرعب لا يعرف الرحمة ، إنه الوحش الذي لا يرحم فريسته أبداً ، بل ينهش لحمها نهشاً ، إذا أحلام الذئاب هي أحلام أشرار والعنوان وإن كان لا يحمل جانباً تربوياً مباشراً إلا أنه يحمل في طياته البعيدة جوانب تربوية تراثية تأتي من أن الذنب كان و مايزال رمزاً للشرور والأطماع والغدر ، فالحديث عن شر الذئاب ، يستدعي بشكل غير مباشر التحذير منها ، ومن شرها هذا على صعيد العنوان .

ومن أهم الجوانب الموجودة في الرواية : الجانب التربوي وقد أشار إليه الروائي بشكل مدهش ، يدل على فهمه للنمط الروائي الصحيح ، وذلك لأنه أشار إليه على لسان اشخاص الرواية ، وابتعد عن التقريرية الخطابية المباشرة التي تكسر النمط الروائي .

إن نصيحة الوالد (حمدو) لزوجته (نبال) ومحاولته إنقاذ ابنه (جميل) من مزالق التأنث والرقة الأنثوية التي تدمر الرجل ، كانت محاولة فاشلة ولكن الروائي استغل هذا الفشل ، وأشار إلى أشياء شديدة الأهمية في الجانب التربوي منها :

1- أن الدلال والترفيه الزائد للولد يدمر شخصيته ويجعله شخصاً متواكلاً وهذا بشكل عام للذكر والأنثى) فلا بد للوالدين مع الدلال المعتدل أن يوكلوا لأبنائهم عدداً من المهام، تجعل الولد يستعد حين يكبر لتلقي المهام الصعبة والحياة كما هو معروف مليئة بالصعوبات .

- أن تربية الذكر خاصة ، تتطلب شيئاً من الحزم لأن الذكور هم قوة المجتمع بما أعطاهم الله تعالى من قوة ، وفي الرواية رأينا كيف أوصلت الأم ابنها إلى الحضيض عندما عاملته وكأنه أنثى ، وهذا الحظر نلمسه اليوم في واقعنا فإننا نرى بعض أمهات اليوم يسيرون في هذا الطريق الموحش .

أن على الأهل متابعة أبنائهم متابعة مستمرة ودقيقة ودون إشعارهم بذلك ، وعليهم ألا يتركوا الحبل على غاربه ، فإذا أحسوا من أبنائهم شيئاً غير طبيعي ، بادروا مسرعين إلى قطع رأس الشر الذي يهدد حياة أبنائهم ، وهم لا يشعرون ، ومن هنا نعلم أن حمدو الحمصاني قد أخطأ حين تأخر في معالجة حال ابنه (جميل) لذلك فالسرعة مطلوبة حين يرى المرء أدنى خلل يصيب ابنه.

- على الأب والأم ألا يطيلا السفر عن أولادهم لأن من شأن هذا الفعل أن يخفف العاطفة بين الآباء والأبناء ، ولعل هذا ما جعل (حمدو) يفشل مع ابنه (جميل) ولن نطيل الوقوف على الجوانب التربوية ، وإنما اكتفينا بهذه الخطوط العامة المفيدة والرواية بشكل عام تسير في خطين متوازيين خط الشر وهو خط الذئاب الذين ينهبون أموال البلد ، وخط الخير الذي يسعى لاقتلاع الفساد وإعمار البلد، ورأينا خط الشر يتهاوى ، أمام خط الخير ، لأن الخير أصل في الطبيعة الإنسانية والشر عرض ، وسأكتفي بهذا لأن الوقوف مع هذه الرواية ، يحتاج إلى بحث مفصل ، يستشف مضامينها ويصور خطوطها الغنية الواسعة .

مجامر الروث - الروائي (عبد الغني ملوك)

دراسة ونقد

بقلم الأستاذة : سحر عطية

ثلاثية مجامر الروث للروائي (عبد الغني ملوك ملحمة مدهشة ، تؤرخ لمرحلة دراماتيكية ، ثلاثية مجامر الروث عبارة عن ثلاث روايات منفصلة الشكل متلاحمة الموضوع ، تجري أحداثها في سوريا ولبنان والعراق .

تتألف رواياتها من :

١ - مجامر الروث

٢- في قبو الدير

- الحب في زمن التحولات

يمتزج القص المبدع بشكل رائع وهرموني بالحب والسياسة والحياة الاجتماعية ، ونقد للتاريخ بدءاً من العصر الجاهلي مروراً بعصر الجواري ، وحتى الوصول إلى علاقات الحب المصلحية والخيانات والانتهازية ، ثم عن غدر المحبين وتناقضاتهم ، وعن العلاقات الخاطئة ما بين الناس من خلال مفاهيم بالية ، ماتزال موروثة ، كيف استطاع الكاتب ببراعة ساحرة أن يؤلف ما بين كل هذه التناقضات ويخرجها رواية عظيمة وكبيرة ؟ هذا ما ادهشني !!

لم يهمل الأشياء الصغيرة ، فكان لها دور ، وأعطى الأشياء العظيمة مكانها ، فكانت المحور حتى اعتراف الفتاة بالحب لعشيقها مسوغ كما فعلت شيرين أمام ياسر

كان الاعتماد على السرد من خلال العقل الباطن واللاشعور . واضحاً ومحبباً ، كما كان الترجيع القريب والبعيد مسوغاً السياسة والدين والجنس من أهم محاور الحياة التي تؤثر في حياة الفرد ، وكم جرت من ويلات مثلما جرى لجورجيت اللبنانية ، حيث شهدت مقتل زوجها وابنها لأنهم أخلصوا لقوميتهم السورية ، النقد المناحي حياتنا كافة موجود في الثلاثية حتى نقد الشعر والرواية ونقد المثقفين، أما التاريخ فهو الحاضر دوماً ، وقد تناول القاص مرحلة حديثة ففضح تجار الحروب ، ودعاة الحرية المزيفة الذين ركبوا الدبابات الأمريكية التي احتلت العراق.

الروائيون عادة يتجنبون كل ما يمت إلى الدين بصلة ، أما الروائي عبد الغني ملوك فقد جرّد ما لحق بالدين من أباطيل لا تمت إليه ، وجعل من الشيخ (حامد) مثالاً لرجل الدين الذي لا يمتطي جلبابه وعمامته للوصول إلى الكرسي ، وقد نادى هذا الشيخ بفصل الدين عن الدولة ، لم يكن الروائي واعظاً بل إن الأحداث توحي إليك بما يريد قوله وقد استخدم تقنية الحلم للعودة إلى الماضي السحيق (لوحة بيع الجواري) هو ساحر يربط بين الحلم والواقع بطريقة مدهشة، ودل هذا على ثقافة واسعة عميقة في خضم الأحداث واشتعال النيران ، مايزال يذكرنا بالحب (الحب ينمو في كل مكان وزمان عندما يولد الحب كالبرق عند التقاء الغيوم ، تتغيّر الفصول ويزدهر العمر) يستخدم أحياناً السرد للغائب وأسلوب الأسئلة المشوقة لماذا ذيل الحب كزهرة لفحها الهيب ؟) فهو يحسن الانتقال والربط بين الأسئلة وبين متابعة السرد ، يتلاشى الملل من خلال قراءتك للرواية ، وتركض لاهثاً ، لتلاحق الأحداث السريعة النادرة .

أما المرأة في هذه الثلاثية فكانت معادلاً موضوعياً للوطن (ظهور سعاد في حياة أبي أرز جعله ينتقل إلى حياة جديدة ثانية، وكأنه وتقمص من جديد

أما محور الثلاثية فهو ياسر الخوخة الذي انشق حزبه اليساري وتشظى ، فلم ييأس ، وتجرع الخيانة من زوجه وأخيه ، ونهض ، فكر بالانتقام كوسيلة لإعادة توازنه ، لكنه وجد أنه بذلك سيكون مثل الذين خانوه ، فسارع إلى تغيير كل الشخصيات السلبية التي رافقت حياته ، ونقلها إلى الضفة الإيجابية .

كانت الثلاثية مزجاً رائعاً بين السياسة والحب والتاريخ والعلم مع تصوير دراماتيكي واقعي لما حدث ، وتحليل منطقي لما جرى ويجري ، وقد لامست العقول ، وأرضت المشاعر ، فهي عمل فني متكامل مرتبة بدقة ، تكشف عن براعة كاتبها ، تشدّك قراءتها ، فلا تمل ، وتخرج منها بغير ما دخلت إنها ملحمة لمرحلة هامة في منطقة ماتزال متفجرة .

مرايا النهر - الروائي (عبد الغني ملوك)

دراسة ونقد

بقلم الأستاذة : سحر عطية

اسلوب جديد في الكتابة ، مشوّق من حيث طريقة عرض الشخصيات والحديث عن سيرة كل منها وكأنه نمط جديد في كتابة السيرة ، إن وصف الروائي (عبد الغني ملوك) للأماكن وصف ساحر رائع ، يجعلنا نشغل كل حواسنا ، وكأننا في حضرة المكان رائحة التراب الممزوج بالمطر تملأ رنتيك بعبق طازج من رائحة القش المغسول بالمطر).

أسلوب الكتابة عند (عبد الغني ملوك جريء وسلس في عرض القضايا والقصص الاجتماعية الحقيقية تسحرك الألفاظ البسيطة الواضحة التي تلائم كل الطبقات من القراء ، إنه أسلوب ساحر من نوع البسيط الممتنع وهو أسلوب رشيق ، يحث على متابعة القراءة دون ملل أو كلل حتى إنني أنهيت الرواية في عدة ساعات فقط ، لاسيما وأن القصص واقعية تلامس حياة كل شخص أو من حوله ، إنها قصص ذات هدف وعظة ، ونقد إيجابي بناء للكثير من المظاهر السلبية في مجتمعاتنا ، بالإضافة إلى ما تحمله من إشارات تاريخية ، تغني ثقافة القراء ، وتجعلهم قريبين من الحدث ، أسلوب واقعي بعيد عن الوعظ لكنه يحملك على تلمس خطوات الإصلاح .

أعجبتني قصة الياس كرام وأحببت روح الروائي فيها ، تلك الروح الوطنية التي تدعو إلى التعايش والتسامح وإلى الكلمة السواء والتعارف والحب الذي هو من جوهر الدين.

أما العنوان / مرايا النهر / فهو ملائم جداً للأحداث المعروضة التي عكست كالمرايا حياة الناس كنهر بواقعية لا مثيل لها ، كان لهجرة الأدمغة وأسبابها نصيب ليس بالقليل في هذه الرواية ، والحس الوطني واضح كما في قصة نادر الألفي / لكنني نقدت الروائي على قوله السلبي من المرأة ، فأغلب النساء اللواتي ظهرن في مراياه كن سلبيات ، منهن مومسات أو وصوليات رخيصات لا يتقين الله في سلوكهن ، لم تعرض الرواية نماذج لنساء إيجابيات بشكل واضح صارخ إلا ما ندر .

والرواية مستوحاة من عمل الروائي كمحام عُرضت أمامه قضايا سلبية في معظمها أو سمعها من زملائه وكان كل ذلك عبرة لمن يعتبر ، وعظة لمن يتعظ من الجميل ربط

لأدب بالحياة ، الواقعية لما له من تأثير في النفوس إذ يخاطب المشاعر قبل العقول ، ويمكن لي أن اعتبر الرواية ونماذجها هي من الروايات التي تصنف ضمن الأدب الواقعي الذي صيغ بأسلوب السهل الممتنع بقراءتها ، ولمست الإبداع في ثناياها ، إنها طرح جديد ، سررت وجريء لمجتمع مطالب بإعادة هيكلة العقل فيه وكذلك العادات .

السوسن البري - الروائي عبد الغني ملوك دراسة ونقد

بقلم الأستاذة : إيمان حمادي

إن رواية السوسن البري للرواني عبد الغني ملوك هي رواية إبداعية مدهشة ومختلفة عما ألفناه من روايات سابقة لها وهي تتألف من (٢٧٧) صفحة صادرة عن دار الينابيع بدمشق

تدور أحداث الرواية في سوريا بين مدينتي حمص ودمشق خلال أكثر من عقد من الزمن ، يمكن أن نلخص المضمون ، ولا غنى عن قراءتها لأن لكل مثقف قراءته الخاصة ، ورؤيته لأحداثها ، وهي على بساطتها في السرد فيها الكثير من الظلال التي تحتمل التأويل والتفكير ، يمكن حسب قراءتي أن أقول أن بإمكان الإنسان إذا عمل على

نقاط قوته وصفاء سريرته أن يحدث معجزة ، وأن يغير شيئاً من واقعه وواقع مجتمعه وكما قال جلال الدين الرومي ما ذهب منك ... سيعود إليك بطريقة أخرى أو كما قال الشاعر : لا يذهب العرف بين الله والناس .

بطل الرواية (صطام الخصينجي) ابن طبقة من قاع المدينة، يبحث عن ذاته انطلاقاً من مجتمعه ، كما هو كائن إلى ما يجب أن يكون باستخدام الوسائل والبدائل المطروحة أمامه ، وجد أن البداية ستكون بإعداد قاعدة للبيانات ونقد النظريات ووجد أن لكل نظرية إيجابية واحدة على الأقل ، لكنها بالمجمل لا تصل إلى الحقيقة الشاملة .

وأن الحقيقة الشاملة في نظره تكون بأخذ كل مفردة إيجابية من كل نظرية وجميعها في نظرية جديدة ، وعليه في هذه الحالة تدوير الزوايا ، قاده هذا التفكير إلى الاستحالة ،

فوجد أن عليه الانكفاء إلى العمل الإيجابي ، فالتغيير لا يتم بالنظريات ولا بالأقوال وأن علينا أن نلجأ إلى فعل التغيير كلما استطعنا إلى ذلك سبيلاً ، فاتخذ شعار أبر الزاوية التي أنت فيها ، وأن بالمحصلة على المجتمع أن يتجه إلى العلم والاختراع ، فقرر دراسة الفيزياء والرياضيات وحلم بعد ذلك بمركز أبحاث ، ومن خلال مسيرته تعرض الإحباطات وصدمات ، أغنت شخصيته ، لكنه لم يكفر بالإنسان وبقدرته على فعل الخير ، وتصادفنا في الرواية شخصية زياد النيسابوري الذي بدأ حياته إسكافياً ، واعتنق اليسارية المتطرفة ، ودخل السجن مستغلاً الوقت وبمساعدة من رفاقه يعمل على بناء ذاته في السجن ليتخرج من كلية الحقوق بعد سنوات من العمل الدؤوب ، إن هذا يعطينا مؤشراً على أن الإنسان يمكن أن يعمل على بناء ذاته ، ولو افتقد الحرية مؤقتاً ، وصدر عفو عام ، وخرج من السجن ليحوّل ورشة التصليح إلى مكتب محاماة ، ويصبح مرجعية لصطام نفسه .

اما شخصية لورا التي تحلم دوماً بالوصول إلى أهدافها بطرق ملتوية والتي أحبها / صطام/ فقد تركته في نهاية المطاف ، وسافرت إلى فرنسا للحصول على الجنسية قباءت بخسران مزدوج .

استطاع / صطام/ بمحبة مدينته له أن يصبح رئيس بلدية ، وأن يكافح الفساد من موضعه ، أخيراً رفض الوزارة مفضلاً مركز الأبحاث على المنصب .

أسلوب الرواية من النوع السهل الممتنع الذي يدل على تمكن الروائي وسعة اطلاعه وقد امتاز أسلوبه برهافة الحس ، وقوة السبك وحلو اللفظ ومتانة الحبك وجمال الرونق .

إن عنصر التشويق في الرواية مدهش ، لم يسبق له نظير، تشتك الأحداث ، وتبهرك فلا تستطيع الفكاك ، لقد تم كل ذلك عن ثقافة واسعة وعالية ومميزة للروائي / عبد الغني ملوك إنها رواية مشوقة مدهشة ومميزة فيها وصف دقيق حقيقي حي وجريء للواقع ، نستنتج من خلاله أننا يجب أن نعيد هيكلة الواقع .

الرواية مثيرة وفي غاية الروعة ، وجديرة بالقراءة فهي تحكي لنا أحداثاً واقعية ، لكنها تسعى بنا إلى الوصول لمجتمع مثال خال من الفساد .

أحلام الذئاب الروائي عبد الغني ملوك دراسة ونقد (1)

بقلم الأستاذ : غسان المحمد

الإنسان مخير فيما يعلم ، مسير فيما لا يعلم ، إنه يزداد حرية كلما ازداد علماً ، الحرية من دون قانون ليست سوى سيل مدمر ، فالعقل روح الحرية ، من رواية أحلام الذئاب للمحامي عبد الغني ملوك .

هذه الرواية موضوعها الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية منذ الستينات وماتزال حتى الآن ، نعيش ماسيها، ما يدور فيها من حوارات ، تلخص حياة السوريين ، قسم منهم يبني ويعطي ، ويتطور مع الزمن وقسم يفتك بالبلد ومؤسساته لكي يجمع أكبر قدر من الممتلكات والأموال ، ومما جاء في الرواية ، لقد تكاثرت الذئاب التي تفتك بالغنم في البادية ، لكنها تبقى أرحم من الذئاب التي تفتك بسفينة الوطن ، فأصبح الفساد

كتاب أعلام القصة والرواية في حمصت عيسى اسماعيل من (٢٧١)

كالسرطان، و الأنكى من ذلك كثر الانتهازيون في الحزب القائد ، وزاد عدد الجرذان ، وكثر القارضون ، وسوس الخشب ، هل ستنجو السفينة وتصل إلى شاطئ الأمان مازال الشاطئ بعيداً ، والمرفا أبعد ، ولا تلوحمنارة الأفق ، ثم يتعرض الكاتب لحالة القطاع العام الذي أصيب بالفساد من خلال إدارته الفاسدة التي استغلت بدهاء شرير لصالح تلميع القطاع الخاص ، وبأنه المخلص الوحيد من الفساد عن طريق إغراق السوق بالبضائع الأجنبية والذي يستدعي المنافسة وهبوط الأسعار ، وتوفير السلع ولكنهم تناسوا أن ذلك سيقضي على الصناعة الوطنية ويلغيها ، إضافة لذلك فإن أرباب القطاع الخاص الطفيلي الراعي للتجارة الحرة واقتصاد السوق ، هؤلاء جعلوا القطاع

العام مشجباً لتعليق كل الأخطاء والانحرافات عليه ، ففي رأيهم هو مصدر الفساد وهو ليس كذلك ، سبب الفساد الإدارة الفاسدة التي باعت بضائعه في السوق السوداء ، وإن إلغاءه سيركز رأس المال بيد عدد

قليل من الرأسماليين في القطاع الخاص الذين سيهرون الثروة الوطنية إلى الخارج ، في المقابل كل دول العالم الحرة ، توجد حماية للصناعة الوطنية ، حقاً إنهم الذئاب الحقيقية وليست ذئاب البادية أمامهم شيء .

الرواية مشوقة جداً للقراءة ، وجريئة في طرحها القضايا الاجتماعية من أرض الواقع ، وقد أحسن الأستاذ (عبد الغني توصيف الواقع الاجتماعي للوطن السوري وكل ما قاله في الرواية يتحقق على أرض الواقع .

من تعليق الأستاذ غسان المحمد (٣٠/٩/٢٠١٦) .

مجامر الروث - الروائي عبد الغني ملوك

بقلم الأستاذة : رضاب العلي

العتبة النصية توحي بحال الفساد والانحطاط الفكري من خلال كلمة (روث) التي تحيلنا إلى حقل دلالي ، يحمل معاني الاشمئزاز ، ويزيد من إغراء القارئ كلمة (مجامر) جمع مجمرة ، وهي توحي باللهب واللون الناري الباهر والجذاب لكن الاقتراب منه ثمنه غال ، مما يجعل إضافة الروث للمجامر تشد القارئ وتجذبه ، فالعنوان هنا يحمل وظيفة إغرائية على عكس السوسن البري) مثلاً ، وهي أيضاً من روايات الكاتب نفسه

تحمل الصفحات الأولى من مجامر الروث تساؤلات تهز العقل ، وتحرك الفكر الراكد ، وتزيد من جرعة الإغواء فتحث المتلقي على متابعة القراءة بلهفة بحثاً عن أجوبة إن العين المثقفة ترصد الجمل التي تشكل بؤر التوتر والتي يحاول الروائي / عبد الغني ملوك من خلالها بث مبادئ وأفكار وقيم جديدة ، بل إنه يصحح المفاهيم ليصل إلى واقع أفضل وفكر أرقى ، كقول / ياسر / بطل الرواية (النقد هو الموج الخفيف الذي يداعب مياه البحيرة فلا يأسن ماؤها) .

هذه العبارة تدعو إلى انفتاح العقول أمام النقد ، ونبذ سياسة القطب الواحد ، والاعتراف بأن الآراء المختلفة تعطينا صورة كلية لنرتقي ، وهذه العبارة ليست الوحيدة . لكن مساحة البحث لا تسعف القلم ، فهناك مثلاً قول ياسر/الأشخاص مرشحون للتطرف بدوافع الحقد يشكل بؤرة أيضاً ، ولا يغفل القارئ أن شخصية / ياسر / الرئيسية ، لكنها لم تكن دائماً على حق ، لقد تطورت هذه الشخصية من السذاجة إلى الافتتان بفكر معين والانسياق الأعمى وهكذا مما أعطاها مصداقية كبيرة .

في حين أن الجانب الرومانسي للشخصية أقرب إلى الخيال لأننا فى زمن لم تعد الحياة فيه بهذه النقاوة وربما أراد الروائي / عبد الغنى ملوك أن يظهر لنا مدى بساطة الشخصية ونقاوتها واندفاعها في كل شيء إلى أبعد الحدود بسبب طبيعة الشباب ، فياسر غرق فى مثالية ، أبعدته عن جوهر الحياة ، لكن شخصيته فيما بعد تطورت عبر التجارب القاسية والدراماتيكية .

عبارة (الرواية فيها روح الأديب جملة تحمل نعاني كثيرة، وربما كانت تحمل روح الأديب نفسه ، فالأدب ما هو إلا رؤية الأديب للواقع ، وربما أراد المؤلف إعطاء المتلقي بعض أحاسيسه ، مما يدل على العلاقة الوطيدة بين عبد الغني ملوك وأدبه ، فرواياته لا تشكل رؤيته فحسب بل إنها جزء من روحه أي من جوهره والجوهر أرقى ما في الإنسان .

النص معباً بإسقاطات نعيشها اليوم ، ويلاحظ القارئ أن تسارع الأحداث والتصاعد الدرامي عند الحديث عن انقسام الحزب ، أعاد الحياة للرواية ، وتروي ياسر / في اتخاذ موقف من الأحداث المتلاحقة ، كشف عن انقسام الحزب ، وسقوط قناع ابن عمه يونس/ الوصف هنا أي وصف المنزل ، بعد الحوارات الحادة في الفصل السابق ، هد أمن نفس الأديب والقارئ ، وكان صادقاً لدرجة أنني جلست معهم في المنزل . واستنتج هنا أن ابتعاد /ياسر/عن الحزب ، وعدم معرفته بالتجارة المشبوهة التي قام بها حازم وزهير يؤكد انعزال أصحاب الفكر بعد الصراع بانكفائهم إلى ذواتهم لاستعادة التوازن ، لذلك قرر ياسر بناء أسرته ، وانفصل عن العالم ، وكأنه أراد بداية جديدة ثم ما لبث أن عاد بتحريض من رفيقه مزيد الخشن وأعود هنا مرة أخرى لأقول إن أصحاب الفكر والجدل والنقد تواقون للارتقاء حتى بعد الانكفاء على ذواتهم . أما الحديث عن حزب الشيخ رضوان فقد عزز الفكرة التي قامت عليها الرواية ، وهي أن الأحزاب والانقسامات كانت كلها طريقاً للوصول إلى المناصب ، وبالتالي فإن كل حزب يحاول تسفيه الحزب الآخر على مبدأ كل من ليس معنا فهو ضدنا) وكل من لا يؤمن بأفكارنا فهو كافر.

تشهد صراعاً درامياً في الملاحقة التي تعرض لها / ياسر /بسبب أخطاء رفيقه مزيد الخشن وقد شد ذلك انتباه المتلقي ، ثم يعود الدفء والهدوء من خلال الحوار بين جورجيت وياسر / وأظن أن العلاقة بين الأخيرين تكشف جوهر الرواية وغايتها فالرواية ترصد الضياع في التنظيمات الحزبية ، وضياع قيمها التي قامت على أساسها، ليتحول كل ذلك الصراع من أجل المناصب ، ومما أكسب الرواية واقعية ومصداقية ، إن المبادئ بالنسبة لأصحابها تتغير وفق الأوضاع والمصالح ، كما أعجبني الحوار بين جورجيت / و / ياسر / في العشاء الأول الذي تحول من صراع درامي حواري إلى تكامل فكري بحيث يصعب على القارئ أن يميز بين كلام الأول والثاني واظن أن الروائي / عبد الغني ملوك قصد ذلك ليدلل على الإلفة بين الطرفين باسم الإنسانية بعيداً عن متاهات الأحزاب وتعقيدات الأديان .

وقد لعب الحوار بين / صابر البستاني / و /ياسر / دوراً في كشف زيف ما نعيشه اليوم من تناقضات بين المثالية الزائفة والواقع المر ، فالمدرسة الحقيقية هي الحياة كما لعب الاسترجاع الذي قام به الأديب في الحديث عن الجواري دوراً في كشف الستار المنسدل أمام أعين البعض حيث يوهمون الناس بأن النخاسة المقنعة هي حضارة ورقي.

ويحمل البعض تناصاً خفياً إيحانياً في قول جورجيت لياسر / قد خلق الله المعاناة حتى تظهر السعادة من خلال نقيضها) . تناص مع جبران وفرويد وهيغل في فكرة كل شيء يحمل نقيضه فى ذاته كشرط لتحقيق وجوده واستمراريته) .

إن عبارة (القتل المرفوض) مريحة وموحية لأن القتل أصبح زادنا ، شخصية السائق مرسومة بطريقة معبرة حتى إني أستطيع رؤية ملامح وجهه ، كلمة الشهيد على قبر مزيد/ بلا معنى ، ولكنها تعطينا ألف معنى.

اما فكرة التهام الجسد ، فتحاكي مخاوفي ترعبني وتحزنني لكنها تريحني في الوقت نفسه ، لأنها تذكر الإنسان بمصيره فما أقساه مصيرنا ، وما أتعسنا ونحن نقتل أنفسنا ألف مرة من أجل لا شيء فقط لتنتصر الأنانية فينا ! ولكن المريح في الأمر أننا سنعود إلى الرحم الأول الذي جننا منه ، سنعود تراباً كما كنا ، وستغمرنا الأرض بحنانها من جديد .

الكاتب الروائي عبد الغني ملوك

بقلم : أندريه ديب

الكاتب الروائي عبد الغني ملوك : مهنته المحاماة جعلت منه روائياً ، أثناء زيارتنا أنا والماستر أن أسعد ، المكتبة الرواية / للاطلاع على الكتب النادرة ، التقيت مالك المكتبة الكاتب الروائي الكبير عبد الغني ملوك .

ومن أين نبدأ الحديث مع الروائي عبد الغني وكيف ننهيه ؟

كيف يمكن الإحاطة بمثقف مخضرم واسع التجربة ، متشعب الخبرات ، لقد قرأناه منظراً و ناقداً في روايته السوسن البري ورأيناه وهو يعري زيف الفساد وذئابه في روايته أحلام الذئاب) وفي ثلاثيته (مجامر الروث في قبو الدير ، الحب في زمن التحولات المدهشة وهو يبحث عن الخبايا والخفايا في المجتمع الذي ظهر فيه الفساد والأزمات ، عرفناه باحثاً في الفلسفة والجمالية والشعر بأسلوب أدبي سهل وممتنع وقد وصفه أحد الأدباء بالساحر .

عرفناه عالماً غني بالرموز والعلامات والتصوف ، بعد ما عرفناه روائياً واقعياً ينسق بين الاتجاهين بإدهاش منقطع النظير يعمل على اظهار التناقضات من خلال مقابلة الصور والأحداث متقد الحماس للحداثة والفهم الصحيحللتراث المنقة من الشوائب ثاقب للسخرية لاذعها إزاء كل التفاهات والسخافات التي تتغلغل كعادات مستهجنة ، تعيق التطور ، وهو نصير متقد الحماسة للتكنولوجيا وأدواتها ، دؤوب على تغذية أفكاره وتحديثها باستمرار كيلا ينال منها الصدأ أو وهم الاكتفاء .

ولد عبد الغني ملوك روائياً متأخراً من حياته ، هو النموذج المضاد للروائي المبكر لكن تجربته الغنية في الحياة والمحاماة والتدريس في الأكاديميات العسكرية وبين الجنود جعلت منع غني التجربة والملاحظة للنفسية البشرية على تعدد مشاربها .

إنه متميز في السرد ودقة الملاحظة ، ومعرفة الهدف وتسلسل الوصول إليه ، المتسم بالغزارة والتنوع ، إنه لا يكرر نفسه أبداً ، وأسلوبه يجعلك تتابع الرواية بدون انقطاع أو ملل ، لأنه صاحب نظرية طليعية في الثقافة والكتابة ، التقينا به في دار الرواية حيث كتبه .

هو رجل مهيب ذو وجه بشوش ، يدخل القلب ببساطة ساحرة ، جلسنا وبدأنا بسؤاله عن سر التنوع والغزارة في كتاباتك وقد بدأت متأخراً ؟ ليكون جوابه (كنت أهتم بالآداب والقراءة منذ كنت فتياً ، لكن الحياة أخذتني إلى معمعاتها ... كان التطوع في الجيش رغم قساوته ممتعاً وقد برعت في تلك المهنة وأحببتها ، لكن أتى يوم وجدت أنها ضيقة ... وأن طموحاتي أوسع من مجالها الحيوي فانكفات إلى المحاماة سبع وعشرون سنة من المعاناة مع الناس ومشاكلهم وهمومهم زودتني بخبرات وبيانات ما كنت لأجدها في أي مهنة أخرى ، ففكرت مرة أخرى بالكتابة بعد أن هجعت لفترة مؤقتة ، كتبت لكنني تريثت بالنشر ، ما عدا مقالات وقصصا قصيرة في الدوريات لكنني كنت أكتب الرواية لمتعتي الشخصية ، أريد تجسيد أفكاري التي جمعتها من تجارب حياتي لأبرزها في الضوء ، وقد أدركت أن عصرنا هو عصر الرواية فولجت بشغف بابها وغمرني ضوء).

وعن سؤالنا ما إذا كان يتوقع نجاحاً بهذا الحجم ؟ يجيبنا الأستاذ عبد الغني :

كل كاتب أو شاعر يحلم بذلك لكن الواقع شيء والحلم شيء آخر ، لقد فوجئت بحب الناس واستحسانهم للأفكار المطروحة ، وشجعوني على ذلك ربما لأني لامست آلامهم

، وعزفت على نقاط ضعفهم ومواجعهم ، وكان ذلك الاستحسان مكافئاً للجهد الذي بذلته .

ما هي الروايات التي أصدرتها حتى الآن ؟

اصدرت ثماني روايات هي : السوسن البري ، أحلام الذئاب ، الثلاثية مجامر الروث - في قبو الدير – الحب في زمن التحولات المدهشة ، ثم مرايا النهر ، وصدر لي أيضاً عن هيئة الكتاب في وزارة الثقافة (أواخر الأيام) وأخيراً جسر على نهر جاف أو المعجزة ، وثمة روايات اخرى قيد الانجاز .

بعد هذا اللقاء الذي جمعنا هل من كلمة أخيرة تودّ قولها ؟

أتمنى عودة الأمان لمدينتي حمص التي أعشق ، ولكل قطعة من سورية .

وفي ختام لقائنا كل الشكر للكاتب الروائي الكبير عبد الغني ملوك على استضافته لنا .

نشرت المقابلة في جريدة الحدث

قراءة فى رواية أحلام الذئاب للروائي العربي السوري

عبد الغني ملوك

بقلم : عيسى اسماعيل

ثمة روائي عربي سوري من حمص ظهر فجأة ... يتابط ثماني روايات ، بلغ مجموع صفحاتها ألفين وخمسمائة صفحة وربما أكثر ، هذا الروائي هو الأستاذ عبد الغني ملوك مواليد مدينة حمص عام ١٩٤٤ ، استقال من الجيش الذي كان ضابطاً فيه ، وعمل محامياً .... بدأ الكتابة عام ١٩٦٤ وتفرغ لكتابة الرواية عام ٢٠٠٨ بدأ النشر عام ٢٠١٥ ، اشترك في حرب تشرين ، ونال عدداً من الأوسمة .

أما الرواية (أحلام الذئاب) فهي تكاد أن تكون ملحمة ، أحداث غزيرة ، وشخصيات كثيرة تنتهي بمقتل شخصيتين رئيسيتين ، وإصابة ثالثة بإعاقة دائمة .

الرواية تتحدث عن أسرة الحمصاني (حمدو) صاحب مطعم للحمص والفول في دمشق ، له ابن وحيد من زوجته الأولى (عديلة) هذا الابن هو (عزيز) الذي أحسنت أمه تربيته ، ولكنه يريد أولاداً أكثر ويُسر بهذا إلى صديقه التاجر اللبناني الذي يدله على امرأة لبنانية باهرة الجمال في بيروت هي نبال / ليتزوجها ، ويمضي عندها عطلة نهاية كل أسبوع ويُرزق منها بابن هو (جميل) وابنة هي (دارين) يموت الحمصاني ، وتلتقي أسرتاه لأول مرة ، وتأخذ نبال / وولداها حصتهما من الميراث

عزيز / يبقى مع أمه في دمشق ، ويدير المطعم الكبير الذي يدر عليه مالاً وفيراً جداً ، ينغمس / جميل/ و / دارين/في الملذات ، ويموت / جميل / بمرض الايدز فيعلن صديقه

الذي قاده إلى المواخير والموريقات اللبناني رشوان أن لجميلا قد استشهد دفاعاً عن / بيروت/ ضد القوات الصهيونية التي دخلتها عام ١٩٨٢ .

تترك / نبال / و / دارين بيروت لتعيشا في كنف / عزيز/وأمه / عديلة غير أن / دارين تتزوج من عامل حلاقة لا تلبث أن تتركه لتعمل لمكتب مدير دائرة التعيينات والتوظيف الذي تمضي أغلب أوقاتها معه وفي منزله في مغامرات جنسية ، صاخبة واسمه / رهوان/ ولأنها جميلة ، يرسلها هذا في دورة تدريبية لإدارة الأعمال لمدة ستة أشهر إلى باريس .

تعود ... وكل أعين المسؤولين الكبار عليها فيصدر وزير التعيينات والتوظيف أمراً

بنقلها مديرة لمكتبه وما كانت تمارسه مع مديرها تمارسه الآن مع الوزير أبو رأفت الدلو ... تنهش الغيرة صدر (رهوان) فيقتحم بسلاحه مكتب الوزير الدلو ويُقتل ار هوان وتُصاب دارين إصابة تجعلها تمضي حياتها على كرسي .

إن دارس الرواية ، يحتار من أين يبدأ الكلام عنها .. !!

ولتكن البداية مع ما تثيره الرواية من أفكار ، وما تطرحه من مشكلات ... ويمكن أن نلخص ذلك بالنقاط التالية :

1- الصراع بين الخير والشر ... أو فضح الفساد .. الشر والمفسدين وهو صراع أزلي يبدو جلياً هنا منتشر في كل مكان ، والأشرار يشكلون عصابة تمارس عملها لمدة محدودة ، لكنها سرعان ما تنكشف بفضل الأخيار ... والآية الكريمة تقول : إن الباطل

كان زهوقا) وهذا فمصير أبطال السوء من رشوان اللبناني الذي يُقتل إلى رهوان إلى الدلو إلى دارين التي تُصاب بإعاقة حتى آخر حياتها .

ولعلنا نقول إن هذه النهاية على الرغم من أنها تودي بالأشرار غير أن القارئ لا يرضى عنها كلياً ، فلماذا لم يوضع الدلو / مثلاً في السجن ، وتحجز أملاكه ، وتسترد الأموال التي سرقها إلى خزينة الدولة ؟! ومن قال إنه لن يجعل بعد موته (بطلاً) وطنياً ؟! وهذا ما لا يريده القارئ ولا العدالة !

إن لدي أسباباً كثيرة للقول إن الرواية تكشف الكثير من المساحة المسكوت عنها حتى وقت قريب في بلدنا ، فالرواية توجه أصابع الاتهام إلى شخصية / وزير/ وممثل في الحكومة لحزب سياسي ، وهو جاء إلى منصبه عن طريق هذا الحزب لكنه خان مبادئ الحزب الشريفة ، وعمل ضد حزبه في سلوكه وخان وطنه ومواطنيه ،

فاعتني من منصبه ، وعاث فساداً وعهراً... هذه هي شخصية (أبو رأفت الدلو) نقرأ في الصفحة ١٦٢ ما

يلي : يقول الدلو المديرة مكتبه الحسناء (دارين) : مليون فرنك فرنسي باسمك في المصرف بنك فرانس/ بباريس وشقة فخمة ذات اطلالات على نهر السين بباريس أيضاً ، تسجل باسمك ، وهذا بيان الشقة، وهذا رقم الحساب

ما المقابل ؟ ...

صك زواج رسمي بدون علم أحد ... !!

وثمة إشارات ... في أماكن مختلفة في الرواية أن الذئاب أصبحت كثيرة في البادية يقول (جروان) لشقيقه (رهوان) عندما يزوره في دمشق الذئاب كثيرة هذه الأيام

تكاثرت بشكل مفاجئ في البادية ، وتأكل الأغنام وصارت تهاجم المضارب ليلاً) وتتكرر كلمة الذئاب في الرواية والمقصود الذئاب البشرية ... !!

فالشخصيات السلبية الشريرة : الدلو ، رشوان ، جميل فليحان... الخ تقابلها شخصيات تبدو مغلوبة على أمرها .

لكنها تدرك الواقع الفاسد مثل (المحامي رامز إسبر ، عزيز الحمصاني ، د. رضية ، الشيخ أدهم، عديلة الأقرع) .

وثمة شخصية اشكالية هي شخصية (رهوان) ... فالرجل له مركز مهم فهو مدير التعيينات والتوظيف) ويأتي بعد الوزير (الدلو) في الأهمية ، فالرجل من ناحية هو زير نساء ... ويوقع دارين) في شراكه ، وتصبح عشيقته ، لكن ثمة أمور منها أنه مدير ناجح وحازم .... نقرأ عنه في ص ٢٠٦ (١) عندما يقول (رهوان) لصديقه المحامي بألم :

وصل الفساد إلى بعض إدارات القطاع العام ، وبدأت بعض الإدارات تخسر ، والدولة صامتة ، بل وتمده بالدعم والمعونة وكان الهدف رفد الميزانية وتقويتها ، والآن ينقلب إلى مصرف لهذه الميزانية ... نقطة القوة تحولت إلى نقطة ضعف)

وفي ص ٢٠٤ (١) يقول : (على الحزب والدولة محاربة الذئاب) وتقرأ عنه في ص ١٤٥ (٢) ما يلي :

(كان رهوان أول من يدخل المديرية وآخر من يخرج .... كان يرى المجد، ويكشف المتقاعس ، وكانت المديرية مثالية في انضباطها وإنتاجها ، وكانت القيادة تثني عليه لكن كانت تعوزه الحنكة السياسية والتعامل الاجتماعي .) ... اللبق

فإذا اعتبرنا أن ممارساته الشخصية مع دارين تحت يافطة الحياة الشخصية فيكون (رهوان شخصية إيجابية غير أن هجومه في آخر الرواية ، واطلاقه النار على (الدلو) كان خطأ جسيماً فلماذا لم يستمر في محاولة كشف فساد (الدلو) فقد قتله وقتل نفسه .....

هي شخصية مثيرة للجدل بالتأكيد ونحتار في أية خانة تصنف (رهوان) فهو من حيث المرأة الاجتماعية زان ومن حيث المرأة الوظيفية (هو ناجح وشريف) ومثل هذه الشخصيات تعطي للسرد قوة ، وللرواية مذاقاً ، متنوعاً ودهشة وإدهاشاً .

٢ - التقنية الروائية :

عنقود الحكايات وجماليات النص الروائي متعدد الأصوات في رواية (أحلام الذئاب) قدر كبير من الفعل السردي المغامر المتدفق ، قوي الحركة ... عبر اللعب على أوتار الحكايات الفرعية ، مما يجعل السرد خصباً ، متجدداً ، مدهشاً . ثمة كاميرا متعددة العدسات ، لا تترك لحدث كبير أو صغير إلا وتوظفه في خدمة الهدف من السرد .

المشهد الروائي هنا يشبه عنقود عنب كبير ناضج ، كل حبة لها مكانها ، ومجموع الحبات تشكل العنقود ، وهذه الحبات في الرواية هي الحكايات أو القصص الفرعية أما المشهد الروائي المتكامل فهو ذلك العنقود ، حتى يبدو لنا من الصعب أن ننتزع قصة فرعية ما من المشهد ، لأن المشهد سيبدو مضطرباً ... وهذا يعني أن الحبكة الروائية متماسكة ومحكمة الربط .

... إن كل شخصية من شخصيات الرواية لها أكثر من وجه ، أي أنها صوت متعدد من رهوان إلى الدلو إلى رشوان و جمران / ... الخ ، ولعل المكان هو البطل إلى حد كبير في المشاهد المتنوعة ، والمكان متنوع بتنوع الأحداث .

وهذه الشخصية أو تلك ، نقرأ مقدمة سردية عنها تمهد لحضورها الفعلي في توجيه الأحداث ... فيكون الوصف في خدمة السرد (شكلاً) وخدمة الهدف (موضوعاً) نقرأ ص ٩٢ (١) عن دارين : جاءت دارين تميس في مشيتها تعدت العشرين آية من الجمال ، تأخذ بالعقل تاسره طويلة بتناسق رشيق ، رمانتا صدرها قد آن قطفهما مرفرفتان اضطراباً ... الخ) .

جمل وصفية قصيرة ، لكنها رشيقة، نابضة بالصورة الحركية ومثل هذه الجمل أعطت السرد ميزة الجاذبية والتشويق والحركة .... عكس الجمل الروائية الطويلة التي تأتي بالملل للقارئ وتثقل السرد ، هذه التقنية الروائية بمجملها جعلت الرواية تتمتع بميزة جذب القارئ من أول صفحة إلى آخر صفحة فيها .

وهنا ثبت بروايات الأديب / عبد الغني ملوك :

1 - السوسن البري -٢ - احلام الذئاب ٣- مجامر الروث :-في قبو الدير -٥ الحب في زمن التحولات ٦- مرايا النهر ٧-جسر على نهر جاف (المعجزة) ٨- أواخر الأيام.

الأدب لا يغير الحياة بل يوقظها

لقاء مع الأديب والروائي الكبير (عبد الغني ملوك)

أندريه ديب وعلا زعزوع :

مع الجنود التقينا الروائي / عبد الغني ملوك وقمنا بزيارته في مكتبه بالطابق العلوي من دار الرواية الحديثة ، مكتب أنيق وإطلالة على حديقة المركز استقبلنا ببشاشة مرحباً هو صاحب تجربة غنية في الحياة ، وكتابة عميقة لها اطلاع واسع في النفس البشرية ، عشرون عاماً كضابط مظلي ... وكما حضر في الأكاديميات العسكرية مدرباً وعالماً ثم محامياً مدة ٢٧/ عاماً في ممارسة المحاماة والاطلاع من خلالها على نفوس ظالمة أو مظلومة ، مسالمة أو عدائية ليتفرغ بعدها إلى كتابة الرواية .

وقد أصدر حتى الآن // روايات هي : ١- السوسن البري ٢- أحلام الذئاب --- مرايا النهر ٤- أواخر الأيام ..

المعجزة

وأخيراً الثلاثية الملحمة التي تتألف من ثلاث روايات تتجاوز صفحاتها / ٧٠٠ / صفحة وهي : ١- مجامر الروث - في قبو الدير -- الحب في زمن التحولات ، وقد لاقت هذه الروايات كلها ترحيباً ودهشة ، لأنها غيرت في أسلوب الرواية وفكرها وتناول موضوعاتها ، كانت الرياحالتي تهب على المياه الراكدة فتزيدها ألقاً وعذوبة

جلسنا معه إلى فنجان قهوة فكان الحوار الآتي :

س. معظم الروائيين والشعراء وحتى المفكرين يقبعون في برجهم العاجي شامخين بأنوفهم ، ينظرون شزراً إلى قرائهم ومواطنيهم ، ويضعون كلفة سميكة مصطنعة ما بينهم وبين الناس

ج . برجي العاجي أقمته فى قاع المدينة بين الناس الغلابى والمقهورين والمأزومين والفقراء والمساكين ، ولم أضع كلفة بيني وبين هؤلاء ، أنا إنسان عادي بسيط ، التقي بالناس أمثالي ، ولا أضع على وجهي قناعاً شمعياً أو بلاستيكياً ... لماذا ..

أحجب وجهي عن الشمس ؟ لقد نشأت بين هؤلاء الناس عانيت معهم وشاركتهم أفراحهم . إنني حين أكتب اتخيلهم ، فيتجسدون أمامي بلحمهم ودمهم ويتصرفون على سجيتهم ، من دون تكلف ، وهذا سر إعجاب الناس أنا لا أسعى إلى خلق أدب غير واقعي ، ولا بكتاباتي أسعى أيضاً إلى الفانتازيا أو اللعب على الألفاظ باستخدام الزخارف لأستر تفاهة المضمون وأنا هنا من خلال الكتابة، أصبح أكثر وعياً وانتباهاً وتبصراً . الحياة هي أفضل من يكتب القصص ، كل إنسان أصادفه وأتعامل معه أو أصادقه هو في الحقيقة مشروع كتاب، فليست الكتب هي الموضوعة على الرفوف فقط ... أحيانا يكون الكتاب من لحم ودم وأحياناً الطبيعة نفسها تعلمنا ما لم نعلم ، الحياة هي أفضل من يكتب القصص ، ومع مرور الزمن نتعلم أكثر .

هل لكتاباتك علاقة خاصة مع على ذكر الزمن البعد الزمني ؟ وماذا يعني الزمن بالنسبة لك ؟ هل تخشاه؟

ج - الزمن في الأدب سر كبير بالنسبة إلي هو لغز.. ومثلما قال غوته الحياة قصيرة لكن النهار طويل

خلال أربعين أو خمسين سنة من حياتي لم تراودني لحظة ملل كل تلك السنوات مرت بلمح البصر ، والآن مع تقدمي في السن لا أشعر كما يشعر المسنون بأن مطرقة الضجر تضربهم ، وقلق الموت يستحوذ عليهم فيقض مضجعهم لا لست كذلك في كل دقيقة عندي عمل أعمله أو لقاء بالناس أسعد به والموت بالنسبة إلي ولادة جديدة.

س -٣- هل تعتقد أن الأدب يغير الحياة أو يملك القدرة على تغييرها ؟

لطالما كان الأدب بالنسبة إلي سبيلاً إلى فهم نفسي وتصالحي معها بالدرجة الأولى ، إنه يعنيني ككاتب وكقارئ هو لا يغير الحياة بل يوقظها ، إنه بوابة التغيير التي تسبق الوعي ، وغن جلوسي للكتابة يعطيني راحة وتأملاً تشحن روحي .

س- يقول ماريو مارغاس يوسا : إن الرواية مملكة الكذب ، كيف تنظر لهذه المقولة من خلال أفكارك ؟

ج- غالباً ما أسأل نفسي أيهما أهم في الحياة وفي الكتابة الأحداث أم معناها ؟ إن كل شخوص رواياتي لها أساس من الواقع ... أشخاص حقيقيون عاشوا على هذه الأرض لكنني أشذبهم أو أضخمهم وأعمل فيهم الخيال وأحياناً أجنحوأوغل فأراهم يتغيرون وأحياناً لا يشبهون أصلهم

الرواية وأشخاصها في نظري أدوات الإيصال للفكرة التي أريد غرسها في الأذهان أنا لا أحب المواعظ لكن القارئ من خلال السرد والحدث يستنتج موعظة .

س. غالباً ما تتحدث عن شخصياتك كأنها تسكنك هل تشعر بالمسؤولية إزاءها؟

ج- أشخاص رواياتي طيوف من الماضي فجأة يظهرون مطالبين بحقهم في الوجود فيستحيل علي إلغاءهم ، قد اخلق شخصيات مضافة لكنني في كل الأحوال أشعر بالمسؤولية نحو هؤلاء وأولئك أحياناً يكون الشعور بالذنب قوياً لأنني نسجتهم في قصة محددة لا يمكنهم الهرب منها، لقد وضعتهم في صندوق كما توضع الروح في صندوق الجسد كانت طليقة مرفرفة وبالولادة حبست في ذلك القفص .

س . ماذا تتمنى وما هو أفق المستقبل في نظرك ؟

ج . المحنة ستنتهى وسنستفيد من دروسها فتعود أقوى ، والمحنة التي لا تقتلك تمدك بالقوة ... وأنا أنظر إلى الأفق بأمل ... فأرى الجداول والأطيار قد عادت إلى غاباتها الزمردية وأرى القمح يتماوج في السهول وتعود البيادر للعطاء .. إن عمر هذا الشعب أكثر من عشرة آلاف سنة وهو من علم العالم الأبجدية والإبحار في السفن والاستكشاف وأعطى للألوان معناها ... وقد مرت عليه الكوارث والمصائب والماسي غزاة من مختلف الألوان اندثروا أو اضمحلوا لقد كان كطائر الفينيق الذي ينبت من الرماد كلما احترق ... طوبى للسوريين لأنهم يرثون الأرض .

سرنا لقاؤه واستمتعنا بجلسته ، لقد خرجنا بغير ما دخلنا شحننا بالأمل والفكر النير ، فله كل الشكر ودعناه وخرجنا.

رواية السوسن البري - الروائي عبد الغني ملوك

جريدة العروبة

صدر للروائي عبد الغني ملوك رواية السوسن البري ومضمونها غني ومختلف عما صدر من روايات حديثة تطرح أفكاراً جديدة ومضامين مبدعة خلاقة ، إن بطل الرواية / صطام الخصينجي / يروي قصته مع الحياة ، وقد بدأ من الصفر ، وعمل حتى أصبح عمدة مدينة رئيس بلدية كان اسمه غير مألوف ولم يستطع تفسيره لكن الناس فيما بعد سموا أولادهم باسمه نتيجة خدماته المتفانية لمدينته حمص .

في بداية حياته درس إيديولوجيات الأحزاب ، والمعتقدات فوجد أن كل نظرية تحمل جزءاً يسيراً من الحقيقة ، وليس كلها، فأراد إيجاد نظرية شاملة تضم كل الحقائق ، لكن هذا ، لكنه العمل شبه مستحيل ، ويحتاج إلى تدوير الزوايا اكتشف مؤخراً أن العبرة ليست بالإيديولوجية الاجتماعية بقدر ما هى للحامل المخلص الذي ينفذها

، وأن النظرية مهما كانت صحيحة وعلمية غير قابلة للتطبيق إذا لم تجد الأشخاص الأوفياء الذين يطبقونها بضمير ، وأن العبرة بالعمل لا بالكلام ، فالعمل هو خالق الثروة، كما أن الوفاء للمحيط المتمثل في الشعب ، وأن الواقع يمكن تجميله بالحب ليصبح أحلى من الحلم .

أحداث القصة يسردها / صطام الخصينجي الطالب الحمصي الذي دخل جامعة دمشق من أجل دراسة الرياضيات والفيزياء، وهو إذ يستأجر عند عائلة مؤلفة من يصبح هو المرشد الأم وابنتيها / تماضر / و / ميادة : والمرجعية في غياب الأب المحكوم بالمؤبد بانتمائه إلى تنظيم يساري متطرف ، الأب واسمه زياد النيسابوري يدرس القانون والحقوق في السجن بمساعدة رفاقه ، وينال الإجازة في الحقوق ، وعندما يصدر عفو

عام يخرج ليصبح محامياً بعد أن كان اسكافياً ، يصلح الأحذية المهترئة ، يحول المحامي زياد مكان ورشة التصليح إلى مكتب محاماة في الوقت الذي يصبح بدوره مرجعية الصطام الخصينجي نفسه ، يستأجر / صطام/غرفة عند الورا / قصاصة الشعر وصاحبة صالون ، عندها يقع في حبائلها المدبرة وفي أثناء عودته من / حمص إلى دمشق في المطار يتعرف على / مارغريت / ابنة برجوازي كبير، تدرس الموسيقا في المعهد العالي بـ / دمشق / أحبها بعمق لكن أباها رفض هذه .

العلاقة ، وطرد / صطام / من مركز الشركة ، فأصيب صطام بأكبر صدمة في حياته ، ثم يجد في الحل سوى الالتزام بخدمة شعبه ، فحوّل بيتهم القديم إلى مستوصف مجاني ، ولما جرت الانتخابات البلدية أصبح عمدة المدينة، وتشاء الصدف أن يكون / أدهم الأملس والد مار غربت من أكبر الفاسدين والمتهربين من دفع الضرائب ، فحجز على أمواله وجرده من ممتلكاته، ويبقى حلمه تأسيس مركز أبحاث نووي ويسافر إلى فرنسا لتأهيل نفسه

تقع الرواية في حوالي ٢٨٠ صفحة من القطع المتوسط صادرة عن دار الينابيع بدمشق .

الفئة : خير جليس . المصدر : العروبة ١٧٧.

ثلاثية - مجامر الروث - الروائي عبد الغني ملوك

جريدة العروبة العدد /١٤٦٦٨/

تاريخ الخميس ٢٨ تموز ٢٠١٦

صدر عن دار الينابيع بدمشق رواية طويلة أشبه بملحمة ، تتألف من ثلاث روايات هي : مجامر الروث - في قبو الدير - الحب في زمن التحولات .

هذه الثلاثية اتسمت بخصوصية قل نظيرها في الرواية العربية المعاصرة وقد وصفها أحد النقاد بأنها خروج عن النص وعن الخطوط المرسومة تدور أحداثها في سوريا والعراق ولبنان بسرد روائي متسلسل ومتقن وبأسلوب أقرب للواقعية لكنها مفعمة أيضاً بالرومانسية والشعر . ١٧٨

وقد اقترن البعد السياسي في أحداثها بالبعد الاجتماعي والأخلاقي في تحليل علمي مدهش قل نظيره ، وضمن سياق رواني يوصل لأفق مفتوح ، وسنقتصر هنا على الرواية الأولى مجامر الروث ونلقي بعض الضوء على أحداثها على أن نتابع في عجالات قادمة دراسة الروايتين الأخيرتين .

بطل الرواية هو ياسر الخوخة يساري متطرف وابن لأحد التجار البرجوازيين متناقض في النشأة والفكر مع واقعه قريبه يونس الخوخة يصاب ياسر الخوخة بإحباط واكتئاب لما جرى معه من أحداث لاسيما وأن زوجته المهندسة تطمح لمنصب وزاري ، وتنحرف تاركة ولديها كفاح و ثائر / بدون رعاية ، ويحتل التحالف العراق . وكرد

فعل على ماسي الأسرة يقرران الذهاب إلى العراق للقتال ضد الغزاة ، يتعرف ياسر الخوخة على الشيخ / حامد الأغبر / وهو شيخ متميز لا يشبه بقية الشيوخ ، إنه يتفهم الحداثة وينادي بأن الدين ولد لخدمة الإنسان ، وأن الدين الذي يفرق هو دين موضوع ، فيشعر ياسر بأن لا الحب هو الطريق لمعرفة الله ، تناقض بين يساريته وبين روحانية ذلك الشيخ ، فيتصادقان بمحبة عميقة ويرشده الشيخ إلى مكتبة الأفق الواسع ليستلم إدارتها وليؤلف كتاب لقاء الحضارات رداً على كتاب صراع الحضارات لـ / صموئيل هينيكتون/ صاحب نظرية إيجاد عدو للرأسمالية بعد زوال الشيوعية .

وينشر الكتاب عند أنطون جركس وهو يملك صحيفة مشهورة ونظيفة ، فيطلب منه أن يكتب في الأسبوع مقالين سياسيين فيها ، وهناك يتعرف على الدكتورة / جويل الناصوري وينشأ بينهما حب لكن / جويل/ تحمل في داخلها شرخاً هو موت زوجها بسيارة مفخخة ، يقرر ياسر / الذهاب إلى أرض العراق الملتهبة للبحث عن ولديه ، ويغتنم فرصة إنشاء محطة تلفزيونية ، تنقل الأحداث من هناك ، تابعة لـ أنطون جركس نفسه

عند هذا الحد تنتهي رواية مجامر الروث لتبدأ الرواية الثانية بعنوان في قبو الدير اكتشفت الخبايا المذهلة /أحدثت الرواية حراكاً في المجال الأدبي الروائي ، وقد وصف أحد النقاد الروائي / عبد الغني ملوك بأنه حالة خاصة وفريدة ومدهشة في عالم الرواية ، تحمل الأمل في وسط ظلام حالك وتمد بالإيجابية في جو مشحون بالسلبية.

الفئة : خير جليس

المصدر : العروبة

أحلام الذئاب

ملحق جريدة قاسيون - الصحيفة الأدبية

العدد ٧٦٠ - ٢٩ أيار ٢٠١٦

هل للذئاب أحلام أم رغبات ..؟ إنها ذئاب من لحم ودم بشري لكنها بوحشية حيوانية مفترسة ، ذئاب بلبوس بشري تلتهم الميت والحي .

عن دار استنبولي في حلب صدرت الطبعة الأولى من رواية / أحلام الذئاب للروائي / عبد الغني ملوك وهي من القطع المتوسط وحوالي ٢٢٥ صفحة .

يستهل الكاتب / عبد الغني ملوك / روايته بقصيدة شعرية الروبنسن جيفرز في إشارة منه للذئاب البشرية التي تستغل ظروف الناس وحاجاتهم ومنها قد تكمن الذئاب في كل شاب ، وأي شيء غير أنياب الذنب يقطع)

وترصد الرواية كثيراً من العادات والتقاليد والمظاهر الاجتماعية بدءاً من الرغبة في إنجاب الأولاد وصولاً إلى النمط الاستهلاكي في الحياة الذي بات مهيمنا في مجتمعنا وانتهاء بالفساد الأخلاقى والمالي والإداري الذي تغلغل في أوساط المجتمع والمسؤولين وممارساتهم واستغلالهم الأحلام الفقراء أمام أحلامهم الذنبية ، ولكن النهاية تكمن هنا في حلول فردية تعتمد على الانتقام للخلاص ، وليست حلولاً اجتماعية عامة ، تحقق التغيير رغم أنها ترصد الواقع وتفاعلاته ، الرواية اعتمدت على السرد والوصف والحوار والمونولوج في عرض الأفكار والأحداث ورسم صعود الحدث من البداية إلى النهاية وبأسلوب بسيط يميل إلى المباشرة أحياناً وإلى الشاعرية أحياناً أخرى .

الدين والسياسة والجنس في روايات (عبد الغني ملوك)

نزيه شاهين ضاحي :

الدين العادة والشأن أو الخضوع والطاعة أو العقيدة ، تكون فوق والشريعة والملة أو الإيمان بكائنات روحية الطبيعة والبشر، ويكون لها أثر فى حياة هذا الكون من رواية السوسن البري وانتهاءً برواية أواخر الأيام وظل هذا الموضوع ينوس بين التحريم والتحليل ، والكتب التي تناولته الأديان السماوية) أكثر من أن تعد أو تُحصى على من العصور و إلى الآن .

وكلها تحض على الإيمان بالله عز وجل وبرسله وأنبيائه الصالحين ، فهي دعوة إلى الأخوة والعدالة والمحبة والألفة والسلام والتعاون في بناء المجتمع وازدهار البشرية جمعاء والعمل على تطورها وذلك بالتزام الصوم والصلاة

لإله واحد هو (الله) تعالى في إطار من الواقعية في التفكير، والحنان والعطف والصدق في المعاملة . باب الاجتهاد (مفتوحاً) لأن الأديان كافة تصلح لكل زمان ومكان ، وهي حرية تقيدها الأخلاق الكريمة .

يقول في روايته (أحلام الذئاب) ص(١٨) (ما المقصود بذات الذين؟ هل هي من تصوم وتصلي وتحج وتزكي ؟ هذه عبادات بين المرء وربه ، ونسميها شعائر ولكنها لا تحمل جوهر الدين الذي هو المعاملة والأخلاق) .

أما الدين الأرضي فهو قشور لا أهمية لها ، علقت بالدين السماوي بفعل أشخاص لهم مآرب خسيسة وأطماع مقيتة فزعموا أن الدين (من وجهة نظرهم العمياء هو نشر الحقد والكراهية والإرهاب والقتال والتصادم والتدمير والذبح والقتل بين الطوائف والأديان وبين أفراد المجتمع الواحد من أجل سيادة دين الشيطان المتمثل بالجاه والسلطان والثروات غير المشروعة متخذين من تعاليم الدين السامية أصلاً ستاراً براقاً يغطي أهدافهم الدنيئة ، ومن التطرف جسر عبور إلى تفكيك بنية المجتمع ومن ثم تقويضه ، وقد أدان الروائي / عبد الغني ملوك هذه الفئة الجاهلة إدانة قوية وبأشد العبارات والألفاظ ، واختصر الدين بأنه الأخلاق الفاضلة والسيرة الحسنة .

أما في السياسة فالمقصود هنا نقد أنظمة الحكم في معظم الأقطار العربية وكشف سلبياتها من أجل الإصلاح والتقويم ، وتلافي تلك السلبيات ، وحماية الإيجابيات وتحسينها وتطويرها ودفعها نحو الأفضل ، فهو تقدمي متنور ، يلتزم قضايا الفقراء وتطلعاتهم نحو نيل حقوقهم ويرى في المسؤول خادماً أميناً لأفراد المجتمع يشعر بشعورهم ، وينقل نبضهم إلى حيز العمل .

والمنصب في رأيه ليس إبحاراً نحو جزر المرجان والياقوت والثراء غير المشروع بل مسؤولية وطن وتكليف أمة بالنضال والسهر على رعاية مصالح المواطنين وعدم التلوث بالفساد أو المحسوبيات ، وينادي بوضع الرجل المناسب في المكان المناسب لقيادة العملية التنموية نحو النجاح والتطور والازدهار .

ويطالب بالمحاسبة الصارمة للفاسدين والمخربين من دون محاباة أو انتقائية ، يقول في رواية مجامر الروث هؤلاء البرجوازيون أعداؤك وأعداء الوطن لأنهم استغلاليون ، وسبب علة مجتمعنا المال أساس الشر لأنه يجني الأرباح من دون تعب العمال واستغلالهم)

كما يقول ناقداً المجتمع (عدم تكافؤ الفرص السائد... تفشي المحسوبية ... لأن نظرية الولاء قبل الكفاءة كانت سائدة اضطرب المجتمع وساد الهدر وقل الإنتاج)

وفي ص (١٢٦) (١) (كانت هذه الأحزاب فـي يـوم مـن الأيام حاملاً لنضالات وآمال المحرومين ، تعزف على جراحهم ولكنها لم تحقق لهم شيئاً ... وسينتهي دور الأحزاب أو يقل سواء وَجَدَت مَن يشقها أو لم تجد يعني خلق قيادات جديدة بأسلوب تقليدي ، يتصدى للتغيير الذي ليس من الضرورة أن يكون ثورياً ، لكنه سيغير من المفاهيم والعادات والأخلاق ... إذا فطن الحكام إلى ذلك ، وقاموا بإنجازات أدت إلى تطور الحياة ، فإنهم يسحبون البساط من تحت أرجل الدعاة الجدد ، ويصبحون هم قادة التغيير ...)

والجنس في اللاشعور الجمعي هو الدخول السري إلى أسرة النوم ، والحديث الصريح عن العلاقات الجسدية بين الرجل والمرأة المشروعة منها الزواج) وغير المشروعة

من دون عقد زواج فهذه العلاقات الطبيعية يجب أن تبقى طي الكتمان الشديد .

كما أن الجنس جزء مهم من الحياة ، كذلك هو جزء مهم في روايات / عبد الغني ملوك ويبدو تارة فردوسياً مباركاً كالعشق العذري ، والحب الطاهر ، والزواج الشرعي ..... وجهنمياً شيطانياً بائساً كالاغتصاب والدعارة والخيانة الزوجية ، والعلاقات الشاذة المحرمة ، والملذات العابرة وكلاهما يجران أصحابها إما إلى مرافئ الأمان والراحة والاستقرار أو إلى شواطئ الضلال والهلاك

والجنس عنده نقطة ارتكاز معيارية وإشكالية في آن معاً تتصف بالشحوب والهدوء والجمود أو بالرحابة والتألق والحركة ، فهو لا يزج بالجنس بقصد الإثارة والمراهقة ودغدغة مشاعر القراء ، وإنما بقصد التطهر ، لأن لحم الإنسان لا يؤكل ، فهو مؤطر بين ضفتي البؤس الفاجر والنعيم المشروع .

الجنس هو الملاط الذي لابد منه ، لأنه يعين على تماسك المجتمع لأن الأمم الأخلاق ما بقيت ومن دونه سوف يهوي في حفر الرذيلة والحرام ضحية غريزة عمياء لا شعورية ولا إرادية .

يقول في رواية أحلام الذئاب (أمسكه من يده، وجره بعنف إلى بطن (اليخت) كخاروف صغير يجره جزار إلى المسلخ ، ونزل به إلى الأسفل ، وبدا أن / جميل/ انصاع لرغبات / رشوان / الشاذة) .

ويقول (١) (وتناولها من خصرها وشدها إليه بعنف فتاوهت ، وأطبق على شفتيها ، فذابت على صدره ثم ألقاها على طول المقعد الخلفي ، وتعشاها عصراً عصراً).

وفي صفحة (١٠٩) (١) (كان رهوان في غرفة الجلوس يترقب وصولها .. استقبلها بضمة مقبلة ... عنيف و شهواني ... لم تجد دارين نفسها إلا مرمية فوق الديوان رماها عليه بعنف وسرعة ... أحست بأن أضلاعها تسحق، ورغم الألم فقد طغت على كيانها لذة جامحة ، كان يهاجم كضبع ، ويتوغل بعيداً بعيداً ... نصف ساعة من الاجتياح والافتراس ، يعقبها هدوء ... ثم تلاشت ..

ليس في هذه اللوحات الجنسية ما يخجل أو يخدش الحياء العام ، أو يدعو بصراحة للإباحية أو الأدب المكشوف كما يتبادر إلى الذهن في الوهلة الأولى ، وإنما هي ألوان اقتضتها ضرورة الموقف ، وأمانة نقل الأحداث ، كما وقعت فعلاً بارتجالية غير مقصودة ، ومن دون تذويق زائف أو خجل مفتعل .

لقد قارب الروائي / عبد الغني ملوك هذه التابوات الثلاثة الدين ، السياسة الجنس / بجرأة ناضجة وعفوية راقية وتجاوز مدروس بعض الخطوط التي صبغها بعضهم باللون الأحمر ، من دون أي شعور بالخوف من المساءلة أو ردود الأفعال من الآخرين مستهدفاً الحقيقة العارية والواقعية الموضوعية، والغريب أن أحداً لم يحاسبه على تلك الجرأة ، والسبب أن نقده بناء ، يسعى إلى الارتقاء بالمجتمع ، والنهوض به بالإضافة إلى جو الديمقراطية والأريحية الذي نعيش فيه .

مصادر البحث

- روايات / عبد الغني ملوك

اعلام القصة والرواية في حمص ت : عيسى اسماعيل

الريف في الرواية العربية

- المدينة في الرواية العربية

ه النحل البري والعسل المر

ت : حنا عبود

- ملامح في الرواية السورية ت : سمر روحي الفيصل

- رواية المستقبل

ترجمة محمود منقذ الهاشمي

- النقد الأدبي

ت : أحمد أمين

٩- أصول النقد الأدبي

ت : أحمد الشايب

١٠ - الرائد في الأدب العربي

١١ - تاريخ الأدب العربي

ت : حنا الفاخوري

ت : د. نعيم الحمصي

١٢ - الرواية العربية

ت : صلاح صالح

١٣ - أصول البحث الأدبي

ت : د. شوقي ضيف

١٤ - رواية المعذبون في الأرض

ت : د. طه حسين

١٥ - قضية الشعر الجديد

ت : د. محمد البهيتي

بطاقة تعريف

نزيه شاهين ضاحي .

مواليد قرية الحفر / عام ١٩٤٦ التابعة لمحافظة حمص .

يحمل إجازة في اللغة العربية .

مارس مهنة التدريس لمدة تزيد على خمسة وثلاثين عاماً في معاهد وثانويات حمص .

متخصص بالنقد الأدبي والدراسات الروائية والشعرية

متقاعد ، ويقيم بمدينة حمص - حي الحميدية

متزوج وله ثلاث بنات وسام - رفيف - نغم /

قراءة في رواية أحلام الذئاب وانعكاساتها على الواقع السوري للكاتب عبد الغني ملوك

سعدية عدنان الغجر

طالبة ماجستير

جامعة البعث

استراتيجية العنونة ودلالاتها في رواية أحلام الذئاب وانعكاساتها على الواقع السوري

الرواية هي سلسلة من الأحداث تسرد بسرد نثري طويل.

يصف شخصيات خيالية وواقعية وأحداث على شكل قصة متسلسلة، وهي أحسن وأجمل فنون الأدب النثري وتعتبر الأكثر حداثة، وتخلق الرواية عالما فنياً، يشبه العالم الحقيقي وبما أنه لا وجود لعالم من دون أشخاص، فإنه لا وجود الرواية من دون شخصيات.

ولعل الشخصية الأروع في عالم الادب الحديث هو الروائي عبد الغني ملوك، الذي روى عقولنا بفكره وأغنانا برواياته، ربما الرجل الثري يبهر من حوله بممتلكاته ولكن عبد الغني ملوك أبهرنا بدرره الثمينة، فكل رواية من رواياته جوهرة نفيسة، فكانت رواياته حض على طلب العلم والتربية الحسنة، وليست رواياته قصة طويلة فحسب

ولكنها روايات بحق، تحمل في طياتها الأخلاق وتحث على الفضيلة، إضافة الى الأسلوب الشائق والكلمات المرصعة وما يغنيك من الرواية، هي متعة القراءة وعنصر التشويق، في سرد وحبك أحداث الرواية.

تداخل في المشاهد و الأحداث، قصص وسير ذاتية مقتطفات حياتية واقعية من الحياة السورية ((الشاغور، الصالحية ..... و من واقع الحرب الأهلية في لبنان

يجري كل هذا بالاستعانة بتقنيات مبتكرة، تعتمد في إطارها العام على أسلوب الحكواتي العليم المثقف والذي يحدث عن الأخبار والأحداث بوجهها العام، ويطرح بعض الأكاذيب (موت جميل بـ (الإيدز) هي الحقيقة، أما استشهاده فهي الكذبة الجميلة في الرواية

((- إنه جميل قد استشهد وهو يدافع عن أرض لبنان اغتاله الإسرائيليون وهو يدافع عن لبنان، افرحي ابنك شهيد)).

يقدم هذا النص الروائي عن طريق الراوي الغائب ليحكي حكاية عائلة حمدو الحمصاني ، في امتداد زمني استغرق أجيالاً ، بدأ من طفولة عزيز الحمصاني ، وزواج والده من نبال الدجاني البيروتية، ولديها جميل و دارين متابعاً مرحلة نموهما ونهايتهما

حيث تجري احداث الرواية، بين دمشق وبيروت وباريس وبادية الضمير.

النص يخاطب الضمير الإنساني، ويسلط الضوء على بعض القيم والعادات الاجتماعية، وأسلوب التربية منذ الصغر، و الدلال المفرط وسلبياته، وذلك في قول بطل الرواية حمدو الحمصاني لزوجته نبال:

إن دلالك لجميل مفرط وتعاملك معه وكأنه بنت سيضره ويعقد مستقبلاً))

و كان الاب يرى المستقبل البعيد، من خلال تربية زوجته لابنه جميل جميل الذي تربى في مجتمع مخملي، كما تقول أم جميل، و من ثم سيضع كل ما يرث من أبيه بحماقته و سذاجته ، وتحكي الرواية عن تربية عزيز ابن المرأة السورية المتواضعة و مستقبله الرائع .

عزيز الابن البار والخلوق، بار بامه و اخته و خالته ، زوج أبيه الانسان البار بأبناء حيه، الذي يبني لهم مشفى ليتعالجوا فيه مجانا. ويحكي عن بعض الذئاب البشرية مثل حمران العيسى الذي خدع دارين، وسلب عذريتها ورشوان التاجر الشاذ وعبود الأبرص ورهوان، صائد الذئاب الحذق البارع في قتل الذئاب في الصحراء. ومن ثم سفر دارين إلى باريس وطلبها العلم فتقول محظوظ من قدر له في حياته أب حكيم، وأم مرشدة لقد علمونا أن الأم التي تقول لابنها - انت عبقري .. سيكون له مستقبل عظيم.....)) نجدها تتحسر على نفسها لأن أمها قد اضاعتهم في المجتمع المخملي، وحالة الإحباط التي اعترت رهوان بعد ان رأى الفساد يسري في مفاصل البلد.

ومن خلال الأحداث، نصل إلى دلالة الرواية والرؤية التي تعكسها، إن دارين وأمها وجميل ساروا في طريق الخطأ فكانت النهاية حزينة ، موت جميل وشلل دارين بينما نرى أم عزيز افلحت في تربية عزيز وكيف نجح في حياته ، وكيف ربى أولاده فصار لديه أربعة أطباء إن دلالة الرواية تعكسها آية قرآنية تلتها الجدة الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين)).

وكأن الكاتب يقول: إن الجزاء من جنس العمل، والعمل السيء يذهب هو وأهله. وينبه الكاتب إلى اختيار الصاحب الحسن الخلق والصديق الوفي الناصح الأمين، وإن حسن اختيار الأصحاب يقي السوء، وما يريده النص الروائي هو

أن الأخلاء الذين يلتقون على المعصية لا يؤمن جانبهم وهذا ما فعله رهوان بدارين وما فعل رشوان بجميل فكانت نهايتهم وخيمة .

أهم مرتكزات النص :

ا- الغلاف :

غلاف الرواية للغلاف قيمة أثرية فطن إليها علماء العربية إذ لم يقصروه على عنوان الكتاب، بل دونوا عليه القراءات والإجازات والسير الذاتية ونحوهما، مما يدخل عليه تحت مسعى خوارج النص، ولا شك أن الغلاف بجانب حليته الشكلية هو العتبة الأولى، في تشكيل العلاقة بين النص والمتلقي، ويمكن القول إن الغلاف عتبة مركبة من مجموعة عتبات، حيث يشغل الغلاف الخارجي للعمل الأدبي والفني في الوحدة الأمامية، اسم المبدع كاتب الرواية عبد الغني ملوك والعنوان أحلام الذئاب. ويعتبر غلاف الرواية بوابة المحتوى الكاتب وهنالك قراء، يجذبهم الغلاف لاقتناء الكتاب ، وترى صورة الفتاة الحسناء على

غلاف الرواية ، هي جزء كبير من نص الرواية لتلقى نظرة على الألوان الواردة ، في واجهة الرواية ، ودلالاتها الموحية، في ظل هندسة عبد الغنى لفضائه الروائى نلاحظ أن الراوي اختار اللون الأحمر والأسود، إن اختيار الكاتب للون الأسود ارتبط بالقواية، وفتح باب الرغبات ، فهو اللون الأقرب لإثارة الغرائز، والشهوات الباطنية ، وإنه

كذلك لون الحزن والوحدة والإحساس بالوحشة ، لهذا كان اللون الأسود الأقرب لتجربة العشق المادية، وهي ما جاءت به رواية أحلام الذئاب، إضافة إلى للون الأحمر الذي يغلف الرواية ، وما يمثله من إغراء و جاذبية وإثارة ، وتأثير يمثل سلطة أنثوية جامحة، إضافة إلى صورة الحسناء صاحبة الجمال الخرافي الذي لا يقاوم، وهي صورة رمزية عميقة.

٢- العنوان:

العنوان هو هوية النص، وحامل أفكاره، التي هي أفكار مبدعة و مركز محتواه العام، كثيرة هي الروايات ، التي قامت بتوظيف ذنبيه الإنسان للتعبير عن الجانب الطبيعي المتوحش في الإنسان، ويمكن أن تلخص رمزية حضور الذئب ، كرمزية للقوة و السلطة، أحلام الذئاب هذه العبارة، نجدها حاضرة ببعدها الدلالي والرمزي ، الذي يمثله الذئب في الميثولوجيا الاجتماعية و التاريخية (الخطر الداهم - الغدر - التوحش والذي مثلها في هذا النص بطل الرواية رهوان قوله ((الله درك يا رهوان قتلت ذنباً بظرف ساعة ، فكيف لو مكثت أياماً ستبيد كل الذئاب) وقوله ((الذئب الجريح أخطر بمئة مرة ((الذئاب قد فتكت بالغنم يجب أن نضع لها حداً)).

وتلك العبارة المؤثرة والمعبرة في الرواية لست مريضاً ولكن الأمة مريضة

ومرضها سرطان ذنبي يتفشى في جسدها.

وكلما كان العنوان مختصراً اتسعت دلالته وقويت طاقته

وامتد قضاء الايحائي

أسماء الشخصيات :

من الصعب إيجاد ترابط بين الاسم الشخصي والواقع التخيلي للشخصية، فالكاتب ينتقي أسماء عشوائية، من دون الربط بين واقع الشخصيات وأعمالها وسلوكها والتناقضات التي يحملها الاسم وصاحبة الاسم مثلاً جميل اسم أحد أبطال الرواية، ولكن عمله عكس اسمه، وكان هناك تعدد واسع لأسماء أبطال الشخصيات، فكانت دارين الفتاة الجميلة، والذي يحمل في معناه الزهرة المتفتحة ولكن اعمالها كانت قبيحة أسماء ابطال الرواية بعضها عكس اسمها، والبعض اسم على مسمى مثل عزيز.

أسماء أبطال الرواية مستمد من بيئة الشخصيات البيئية الدمشقية (عزيز - سعيد - جميل .....)

والبيئة الأوربية واللبنانية.

وصف المكان في الرواية :

إن الوصف هي الأداة والوسيلة التي تقوم على تشكيل المكان، وعلى تحديد زواياه، وشرح موجوداته، فتجري الأحداث في مكان الرواية والذي هو بمثابة فضاء الرواية فقد اهتم الكاتب بوصف الأماكن البحر - السناك ..... وفرنسا ((برج ايفل تركيبة معمارية رائعة، فيه طوابق ثلاث ....)). وكان الراوي يريد أن يصور لنا الأماكن الاثرية في باريس ، ولذلك فإن وصف المكان وجده لا يساعد على خلق الفضاء الروائي ولا بد من اختراق الانسان للمكان والتفاعل معه والعيش فيه، وتقديمه، والروائي حين يلجأ الى وصف المكان. فإنه يرمي من وراء ذلك الى بث المصداقية فيما يروي

ه - اللغة :

اللغة أساس أي نص مكتوب اتسعت لغة النص بـ أنها سلسلة مطواعة سهلة لا تخلو من بعض

المفردات الغريبة)) مازوشية ((ويتضمن النص عبارات الإيحاء والمجاز والصور وامتازت بالتنوع بين التقليد

والحداثة، أما الحوادث فقد اخلت بين الأجيال.

لقد استهل الكاتب مقدمة لروايته، أبيات شعرية ل دروبنسون جيغرز : أيتها الفتيان الصغيران ، لا تثقفن بالغرباء، القصيدة مناسبة جداً لرواية أحالم الذئاب وكان كل سطر في المقدمة يحكي عن حدث سوف يجري فيما بعد مع الحسناء والغرباء ، وإن دل على شيء فقد فهو ذكاء وفطنة الراوي عبد الغني ملوك، في حبك الرواية من مقدمتها الشعرية الرائعة إلى نهايتها التي ختمها بآيات قرآنية

الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين)).

هذا الترابط الفني النثري الجميل، الذي يبدأ الرواية بشعر وينهيها بآيات قرآن، يدل على سعة ثقافة الكاتب، بل إنه موسوعة أدبية وعلمية وتراث قيم السورية، ويستطيع القارئ من خلال اللغة البسيطة أن يتنبأ بسيرورة الأحداث ونهاياتها حسب ثقافة القارئ.

العبرة والحكمة من الرواية

تضمنت رواية أحلام الذئاب الكثير من الفكر والعبر

التربية منذ الصغر، وشأنها العظيم في المتقبل وأن الولد امتداد لوالديه، والطفل في أغلب الأحيان صنيعة الأم

. الحاجات الروحية مهمة لكل إنسان، مهما كان سلوكه. وإن الثراء، لا يورث سعادة، بل سعادة المرء بقناعته ورضاه بما قسم الله له.

. الالتزام بالقانون شرط لازم للسعادة ونظافة اليد مهمة جداً في العمل مهما يكن سلوك المرء وصفاته قبيحة .

الإخلاص واجب في العمل وتحض الرواية على

. إعمال العقل والمشورة واحترام رأي كبار السن)) الجدة

. الإرادة الصلبة، وطلب العلم، لأن امتلاك المعرفة تغير حياة الانسان دائماً الى الأفضل بالعلم ترقى الأمم . الالتزام بالقواعد والأخلاق والقانون هو السبيل الى التطور وسعادة المرء

للكلام قوة، ربما بضعة كلمات تغير العالم وتغير وجهة نظر القارئ، فكيف إن كانت رواية عظيمة لـ عبد الغني ملوك

أرجو أن أكون قد وفقت في التعبير عن خواطري وقد أوصلت لكم وجهة نظري المتواضعة كان ذلك حصيلة فكري ومداد قلمي.

منظومة العقل والعدالة والمعرفة

في أعمال الروائي عبد الغني ملوك

محاضرة للقاضي مالك رضوان أمين رئيس محاكم الاستئناف

المدني في دير الزور

قرأت جميع أعمال الروائي الكبير عبد الغني ملوك وعددها اثنا عشر رواية فوجدت خيطاً مشتركاً يربط فيما بينها وخاصة في ثلاثيته (مجامر الروث) هو توظيف العمل الروائي لما فيه خير وصلاح الإنسان ضمن مفهوم الحق والخير والجمال ، إلى درجة أنه يتحقق ذلك وبشكل فعلي على أرض الواقع إذا بحث القارئ ودقق في أعماله عن المعنى والفكرة والهدف أكثر مما لو كان يبحث عن الوقائع والأحداث، لأنه أناط بالأحداث والوقائع مهمة الحامل للعبر والأفكار التي تتمحور حول بناء النفس الإنسانية جسداً وروحاً وقد لفت نظري في رواية له التي تحمل اسم أواخر الأيام) والتي أصدرتها هيئة الكتاب في وزارة الثقافة ومن المعروف أن أواخر الأيام هي تلك الأيام التي فيها يسيطر على الإنسان اليأس والضعف وانتظار ملك الموت، لهذا تساءلت

هل تشكل هذه الرواية انعطافاً عن نهجه السابق وإذا كان قد بقي على نفس النهج السابق فكيف يستطيع التوفيق بين طبيعة الأيام الأخيرة من الحياة مع عملية بناء النفس الإنسانية جسداً وروحاً إنها مهمة عسيرة وشاقة لنرى كيف رواها المؤلف

بدأ الرواية بعبارة انتهى العزاء عزاء من؟ إنه عزاء زوجة بطل الرواية التاجر الثري الحاج عبد القادر الذي توفيت زوجته بعد مرض عضال. كأنما يريد أن يقول بأن

مصير كل مخلوق الموت وكل ميت إلى التراب مجرداً من كل حياته التي عاشها فلا يأخذ معه من الدنيا ما كان عزيزاً لديه لهذا كان من الطبيعي أن يطلب من خادمته بعد انتهاء أيام العزاء أن تتركه وشأنه ليغوص في بحر من الذكريات يعيد توازنه وتقييم حياته السابقة رغم أنه لم يكن لينقصه شيء من زخرف الدنيا ومباهجها لكنه رغم كل ذلك كان يائساً ومنكوباً ولم يكن السبب ناتجاً عن موت زوجته لأن الحب بينهما كان مفقوداً أو لنقل أنه كان وظيفياً تسوده عاطفة باردة وقد تذكر وهو يستبطن ذاته أنه بعد نجاحه في شهادة الإعدادية أخذ والده الحاج سليمان يوجهه إلى تحديد هدفه في الحياة

قال الوالد : (ضع لحياتك يا عبد القادر هدفا فالذي لا هدف له كالمركب المترنح من دون قبطان

رد الفتى عبد القادر برأيك يا أبي ما الهدف الذي يجب أن أضعه لحياتي ؟)

أجابه الوالد أن يكون هدفك الحصول على الفانوس السحري والعجل الذهبي)

لم يفهم الفتى المعنى فسأل أباه مستفسراً عن الفانوس والعجل فأجاب الأب المال هو الفانوس السحري الذي ملكه علاء الدين في القصص الشعبية والعجل الذهبي إله بني إسرائيل الذي يديرون به العالم من المحفل فهم الفتى المعنى قليلاً فأجاب :

قال المعلم لنا في المدرسة أن المال ليس كل شيء في الحياة إنه وسيلة وليس غاية

أجاب الأب موضحاً إنهم يضللونكم ويبعدونكم عن الواقع في كلام إنشائي ليس له فعالية كلا هو كل شيء إنه سلطان داوود اللامحدود وعصا موسى السحرية وهو يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى ويحول الغبي إلى أذكى الأذكياء)

وعلى هذا التوجه عاش عبد القادر حتى بلغ منتصف العقد الخامس فحصه الطبيب بدقة ثم استوى جالساً وقال

انت سليم الجسد ومشكلتك أنك لم تقدم شيئاً لحياتك أو لمجتمعك خدمة يذكرها الناس ، لقد برمجت حياتك كلها كأنك آلة لجمع المال وتكديسه الآن تحتاج إلى عمل إنساني وتطهير روحي يعيد لك احترامك لنفسك إنك يا عبد القادر بحاجة إلى الحب

قرر عبد القادر بعد ان خرج من العيادة أن يبدأ حياة جديدة حياة لا تقوم على عبادة المال وجمعه وإنما تقوم على الحب واحترام النفس وجعل المحبة دستوراً فلم يعد المال محل اهتمامه الأول فتبرع بمبلغ كبير للأعمال الخيرية وتنوعت علاقاته الاجتماعية فكانت عبراً وقصصاً مع الخادمة وعباس الداعور وسميرة درويش ونور الصباح ومع ولديه ومع الفكر الصوفي المتمثل في دراويش محيي الدين بن عربي حتى غدت حياته الجديدة غنية بالعبر والمعاني والأحداث . تناول البطولة فيها ثنائيات العدالة والظلم النجاح والفشل الأمل والياس الكرامة والذل التضحية والأنانية المبدأ والفوضى وغير ذلك

ومن هنا بدأ بطل الرواية رحلته الجديدة في الحياة إنها رحلة البحث عن السعادة الحقيقية فكيف يجدها ؟ وقد أخذ الحوار هنا في هذه النقطة من الرواية مواضيع كثيرة ذات طابع فلسفي وروحاني

في شيء من ذلك يقول الروائي عن عبد القادر أنه خلال رحلته الجديدة

يمم وجهه باتجاه قبر الصوفي محيي الدين بن عربي فشاهد شيخا عجوزاً يقرأ قصائد الشيخ فسلم عليه وقال له: جنت طالباً العشق الإلهي فأجابه العجوز :

الهكم التكاثر حتى زرتم المقابر فقال عبد القادر أنا ظامئ علمني كلمات العشق

أجابه الشيخ اعلم أن العشق صامت ولا توجد كلمات يمكنها وصفه، وإن العشق الذي تبحث عنه يكون أوضح حين لا تكون له تفسيرات إن كنت تبحث عن مسكن الروح فأنت الروح وإن كنت تبحث عن قطعة خبز فأنت الخبز إن كل ما تبحث عنه هو أنت

هل فهم يا ترى التاجر عبد القادر فحوى الكلام؟

بعد وفاة زوجته احتاج إلى مدبرة منزل ترعاه وتقضي حوائجه فوظف سميرة درويش التي دخلت حياته كأول شعور عاطفي تحرك بداخله بعد الخمسين وقامت بينهما علاقة اجتماعية وظفها الروائي ملوك لخدمة رسالته قال

عرفت سميرة أن الحاج عبد القادر في حاجة إلى من يستمع إليه وأنه أيضاً يحتاج إلى أن ينصت إلى الآخرين عليه أن يكون فاعلاً تتحرك روحه التي هجعت سنين)

لقد قال لنا الروائي ملوك بشكل غير مباشر أن الإنسان يكون بلا روححقيقية مالم يتواصل بحب مع أخيه الإنسان وقوام هذا التواصل تقارب فكري وروحي وإنساني

في عالم المال يسود الكره والحسد والبغضاء أما في عالم الحب فتتفاعل الروح مع الجسد وتخلق السعادة

ويتابع المؤلف قوله على لسان سميرة وعرفت أيضاً أن عبد القادر ما يزال سائراً في كهولته يبحث عن روح تنبض في داخله وتمنحه الحب الذي افتقده من عقود)

من خلال دراسة سميرة درويش الشخصية عبد القادر يبين لنا الروائي ملوك أهمية المعرفة والتواصل الاجتماعي ولذة العطاء في التعامل مع الناس لقد عرفت سميرة درويش بخبرتها الطويلة ومعاناتها مع الآخرين كل ذلك فدارت بينهما حوارات مطولة تناولت الإنسان والحياة والمعاناة في قصتها المريرة مع الحياة ومن خلال التناقض الكبير بين سميرة درويش وزوجها جزار البقر مرر لنا الروائي ملوك أفكاراً عديدة أظهر فيها تناقض النفس البشرية أحياناً مع ذاتها ومع الآخرين . كان زوج سميرة يعمل في مسلخ لذبح البقر لهذا سموه بدباح البقر وأنها في ليلة زفافها وكانت تنتظر من زوجها الحب والحنان والرومانسية أخذ يحدثها عن عمله كيف يذبح البقر قال

يأتون بالبقرة إلى المسلخ فيمسكها زميلي ويربطها من رقبتها بجنزير ويرفعها برافعة ترفع قدميها الأماميتين وتضطر إلى الوقوف على رجليها الخلفيتين ويكون في يدي ساطور حاد عريض مسنون فأضرب رقبتها ويتدفق الدم كشلال غزير تهتز البقرة ثم تتلاشى بآخر حركاتها فيأتي زميل آخر فيسلخ جلدها ويقطعها)

قالت سميرة وقد انصرت على نفسها كتنفذ داهمه خطر

لقد اخفتني وانتابتني قشعريرة وكنت أتوقع منك كلاماً رومانسيا ينفتحله صدري وقد ضاق الآن . أراك تشعر بلذة وسعادة عندما تذبح بقرة أجابها:

لقد امتهنت عملي هواية أنا أشعر بلذة النشوة وتتلاشى توتراتي وأفقد الزعاجي عند الذبح بل أشعر بمتعة لذيذة لا أعرف سببها ويخيل إلى الآن أنك بقرة علي ذبحها لكن بدون سكين سيكون ذلك لذبذا دفعها بقوة إلى السرير ودخل بها متخيلاً نفسه بأنه يذبح بقرة)

سميرة امرأة من النوع الذي يقرأ البشر جيداً أما زوجها فكان يعرف كيف يستخدم ساطوره في الذبح ويستمتع بشلال الدم المتدفق وعندما يمارس معها فعل الحب يضربها في البداية بعنف ثم يعتصرها كضبع يفترس خروفاً ويعضها ككلب جائع ويفرغ شهوته ثم ينام كالبهيمة ويشخر

وفي الصباح يعتذر منها وذات يوم مات طفلهما الصغير فحمله إلى المقبرة ودفنه فيها بعد ذلك ذهب مع أصدقائه إلى الخمارة ليشرب حتى الثمالة والترنح

وبعد منتصف الليل وفي طريق العودة وقعت بينهم مشادة كلامية فاستل سكينه وذبح صديقه فخر على الأرض ميتاً

عاد إلى منزله ومارس الجنس مع زوجته وكان شيئاً لم يكن في الصباحقبض عليه ثم حوكم وسجن وبعد فترة طلبت الطلاق منه وتطلقت لتبدأ

رحلة جديدة فهل ستكون خالية من العذاب

بعد أن استمع عبد القادر إلى قصتها قال لها

لكم تعذبت في حياتك يا سميرة أجابته

أمثالنا خلق للعذاب هذا قدرنا علينا أن نرضى به إن الحياة تسند إليك دوراً عليك أن تؤديه مهما كان هذا الدور مؤلماً

وسألها أيضاً ما رأيك في المجتمع الذي عشت فيه؟ أجابته

) كنت دائماً فريسة يحل صيدها وأكلها لم أفقد إيماني بالحياة والإنسان ولم أياس يوماً من رحمة الله برغم كل المصائب التي نزلت بي حافظت على طهري وشرفي

فهل تبقى سميرة على إيمانها بالرغم من قدرها السيء الذي حدده وخطط له القدر . إنها من النساء اللائي جار عليهن البشر فأنزلوها في قاع الذل والمهانة والعذاب وبالرغم من ذلك كله كان لديها أمل معزز بالإصرار ولكن هل لهذا الأمل فاعلية في مجتمع لا يراها إلا مجرد فريسة

في هذه النقطة ومن هذا المكان أشار الروائي ملوك إلى إشكالية قديمة جديدة مفادها

هل القدر هو الذي يحدد مسار حياتنا؟ أم أن شيئاً آخر هو الذي يحدده لنا في النهاية تنتصر إرادة الإنسان إذا أمن بنفسه وبهدفه

كانت الحوارات بينها وبين عبد القادر في كل يوم تتجدد

حدثته أنها تزوجت بعد دباح البقر من رجل مسن أجبروها على هذا الزواج كما في كل مرة

عملت لديه ممرضة وخادمة ولم تنل حظاً من السعادة حتى توفاه الله ثم أجبرتها ظروف الحياة للعمل مع امرأة اكتشفت أنها تعمل في الدعارة فاستقالت فوراً لتهرب بطهرها وبراءتها

تمضي الأيام وبفضل عبد القادر تدربت سميرة على استخدام الحاسوب وتحسن وضعها المادي لتشعر ببعض الطمأنينة وبفعل الألفة والاستمرار تسلل الحب إلى قلبيهما لكن كان لكل نظرته إلى هذا الحب ومن زاويته

هي كالأرض العطشى لم تعش العاطفة يوماً

فبادرت وصارحته بحبها له وأيضاً هو تجاوب

لكن غريزته سبقت عاطفته فطوقها من خصرها وألقى بجسده فوقها لينال منها

في هذه النقطة يبين الروائي عبد الغني ملوك النواظم القانونية والأخلاقية الواجبة على بني البشر لذلك رفضت سميرة الخروج من مأساتها بطريقة غير شريفة فالأهداف الشريفة يجب أن تنال بوسائط شريفة

رفضت ذلك وقالت له

ما هكذا يكون الحب الصافي المنزه لا أريد ذلك بالحرام بل بالحلال هنا أحبط اندفاع عبد القادر وانتكس إلى أفكاره القديمة فصرخ في وجهها

تطمعين بمالي فتراودك أحلام الزواج مني إنها خدعة حقيرة)

من جديد تلقت سميرة طعنة جديدة قاسية أعادتها إلى القاع مجدداً خذلت ولم تستطع العدالة أن تنصفها وخاطب عبد القادر نفسه ليبرر فعلته (ليس للرغبة عقل وليس لها قانون

ها هو الروائي هنا بأقل الحروف وببضع كلمات يطرح أعمق الفكر إنه يدعونا بألا تخضع تصرفاتنا وقراراتنا إلى رغباتنا وغرائزنا إنها دعوة بل دستور حياة

زادت الحادثة من إصرار سميرة على الكفاح المعاودة الهدف والأمل إنها الآن مسلحة بشيء من الخبرة وتندرج في طريق العلم هذا الحاسوب الذي أتقنته فأمدها بنور العمل والأمل لقد اكتشفت نقاط قوتها

الطريق صعبة لكنها ليست مستحيلة وهنا يطرح الروائي معادلة كبيرة جداً خلاصتها

أنه مع كل لحظة صبر نزداد قوة ومع كل تراكم علم نزداد حياة وأملاً وعلينا دائماً أن نتحلى بالصمود والمقاومة فالصبر طريق الفوز

أراد الروائي أن يزرع فينا الأمل ويشحذ الهمة ويرسم الطريق السليمة لكل من سقط في الأسفل وكأنه يقول إن القاع مسكن الضعفاء وعلينا دوماً النشوء والترقي على سميرة أن تحقق ذلك بنفسها

لقد جرت العادة مع الأسف أن ما هو خارجنا يشدنا إلى القاع بينما نفسنا القوية تسمو بنا إلى العلو الإنساني هكذا هي فلسفة الحياة التي رسمها لنا الروائي ملوك بنموذج إنساني

حي لقد قررت سميرة دراسة القانون وسارت في طريق بناء ذاتها وأصبحت محامية لامعة تدافع عن المقهورين والمظلومين وتزوجت من قاض

في الرواية نموذج آخر هي نور المخلصة الجمركية صاحبة الشهادة الجامعية التي كانت نموذجاً عكسياً لسميرة حيث توصلت ذات يوم إلى قناعة شبه كاملة بأنه لا يمكن الجمع بين العلم الأكاديمي المثالية الأخلاقية من جهة وبين آليات السوق ودسائسه من جهة أخرى)

يمكنك جمع المال بطرق غير قانونية أو غير أخلاقية ولكن ذلك سيقودك في النهاية إلى شيء لا تحمد عقباه إن من أسمى أهداف الإنسان الحب والحرية والحق والخير والجمال وإذا لم يكن هناك توازن فلن تتحقق إنسانية الإنسان

ونجد في الرواية أنموذجاً لهذا القول في شخصية عباس الداعور الذي انغمس في الخطيئة والرذيلة والتزوير فنال جزاءه العادل

يمكن أن أقول بكلمة موجزة أن رواية أواخر الأيام هي

بحث معمق في حديث النفس وشهواتها واستبطان الروح ومعاناتها لقد أبدع الروائي ملوك في الحديث عن ثنائيات الحياة الإنسانية فقد تحدث عن الظلمة والنور والحكمة والجهل والأمل واليأس والقوة والضعف والهدم والبناء والفضيلة والرذيلة كانت روايته أواخر الأيام عالماً مليئاً بالأفكار والحكم والصور والمضيئة فقد ضخ الروائي ملوك الأمل في النفوس اليائسة وفي الأرواح المتهاوية ليقول لنا أن باب الأمل مفتوحدائماً وغير مغلق

إنها رواية تصور لنا ببراعة حياة جديدة لمن يعتقد ألا حياة له حتى ولو كانت في أواخر أيامها لقد تحول عبد القادر من خلال الأحداث التي مرت به بعد انفصال علاقته

بالدكان وبصندوق المال بتحوله إلى إعمال العقل مشاهدة الحياة الحقيقية والإيمان بالحب ومساعدة الناس لقد عرف عبد القادر أن العدالة ستأخذ مجراها مهما طال الزمن فقد نال عباس الداعور جزاء، نتيجة ما اقترفت يداه وخسرت نور الصباح نفسها عندما خدعت عبد القادر في حين نجحت سميرة نجاحاً باهراً حتى أنها فاقت عبد القادر نفسه فاحتاج إلى خدماتها ومن هنا يستنتج قارئ من احداث الرواية

أن الوسائل الشريفة التي تؤدي إلى تحقيق الهدف وإن تأخرت قليلاً هي أفضل ولها البقاء من الوسائل الدنيئة التي قد تسرع في تحقيق الهدف لكنها في المحصلة ليس لها بقاء

من خلال القراءة المعمقة والمتأنية للوقائع والأحداث يدعونا الروائي ملوك إلى التفكير بشكل علمي ومنظوماتي وذلك بالاعتماد على إعمال العقل وامتلاك العلم والمعرفة والمعلومات والإرادة الصلبة لتحقيق الأهداف وتحري الحقيقة دوماً والإيمان المطلق بالعدالة ثم الالتزام بالقواعد القانونية والأخلاقية وفي نهاية الرواية وهي مسك الختام جملتين قالها الروائي مكثفاً كل حكم العالم :

الجملة الأولى إن الأمور بخواتمها وأن السعادة التي نبحث عنها خارجنا ولا نجدها انها في داخلنا تنتظرنا بأن نكتشفها وتنعم بها

إن الروائي ملوك يريد أن يقول لنا إن السعادة في متناول كل إنسان فهلموا أيها السادة لتكتشفوا ذلك في دواخلكم وأرواحكم وأنفسكم)

والجملة الثانية (إن السيف الذي تتوهم أنه يحمينا يكون أحياناً هو السيف الذي يقتلنا)

لم يكن المقصود بالسيف الذي نعتقد أنه يحمينا القوة المحضة إنما يعني كما فهمته

أن أفكارنا ومعتقداتنا التي نظن أنها هي التي تحمينا قد تكون خاطئة فتؤدي بنا إلى التهلكة لقد كان الحاج سليمان أبو عبد القادر يبث أفكاره لابنه الفتى باتجاه معين هو حبه للمال وحسب دون أن يفتح عينيه على المحبة والتعاون الإنساني والبحث عن السعادة في حياته من داخله

إن هذه الرواية هي من الروايات التي لا تقل أهمية عن الروايات العالمية بل أحياناً قد تتفوق عليها

شكراً للروائي الكبير عبد الغني ملوك وشكراً للحضور الكرام وشكراً الرابطة الخريجين الجامعيين عروس حمص التي لا تشيخ أبداً إنما يتجدد شبابها كلما مر عليها الزمن بفضل القائمين عليها وشكراً لمن ألقى محاضرتي هذه نيابة عني وكنت أتمنى لو حضرت فألقيتها بنفسي ولكن المسافة بعيدة بين حمص ودير الزور والأعباء كبيرة وعسى أن نلتقي قريباً شكرا لكم

القاضي مالك رضوان أمين

رئيس محكمة الاستئناف الأولى في دير الزور

ورئيس التفتيش القضائي في المنطقة الشرقية